

روايات
مصرية
للخريف

٣

فارس الأندلس

السيف الذهبي



نبيل فاروق

Abu Badr

١ - مهمة ..

ارتفع سهيل جواد عربى ، يثقل سكون السهول
الحضراء ، الممتدة على مدى البصر ، على مشارف
(غرناطة) ، قبل لحظات من ظهور الجواد نفسه ، وهو ينطلق
مسابقا للريح ، دون سرج أو لجام ، وعلى متنه شاب وسم
الطلعة ، ممشوق القوام ، يتطاير شعره الأسود الفاحم فوق
رأسه ، وتتألق على شفاهه ابتسامة حماسية مرحة ، وهو يلكز
بعن جواده بكيفية رفيق ، ويجذب معرفته الناعمة ، هائفاً :
— ها يارقيق .. ها ..

ومن خلف الجواد الأبيض الأصل ، ظهر جواد آخر ، بنى
اللون ، يمتطيه رجل قوى ، أشيب القودين ، له حلية أليقة ،
وشارب ناعم ، اختلط بياضهما بسوادهما ، وحمل وجه الرجل
ابتسامة مماثلة لابتسامة الشاب ، وهو يتف بجواده :
— ها .. لا تسمح له بهزيمة .. ها .

ولكن جواد الشاب كان قوياً بحق ، يجيد الاستجابة لأوامر
راكبه الصارمة ، وينطلق فوق السهول الخضراء بأقصى
ما يمكنه من سرعة ، حتى بلغ براكبه شجرة ضخمة الجذع ،
وارفة الأغصان ، غزيرة الأوراق ، فجذب راکبه معرفته

من بين أوراق التاريخ جاء ..

من قلب الحضارة والأمل ظهر ..

من أجل العدالة والحق كان ..

رمز الماضى والحاضر والمستقبل ..

الفارس ..

فارس الأندلس ..

د. نسيب فاروق

اليضاء الناعمة في حزم ، جعل الجواد يطلق صهيلًا طويلًا ،
ويدفع حافريه الخلفيين في الأرض ، ويتوقف عن العدو ،
ليضرب الأرض بحافريه الأماميين ، وكأنما يعلن أسفه عن انتهاء
السباق ، ثم توقف ساكنًا ، وقد انتفخ صدره في قوة ،
وغاصت بطنه في رشاقة ، وأشرأت عنقه في ترقب ، حتى لحق
به الجواد الآخر ، وهتف راكبه في صوت يخالطه اللهات :

— لا بأس .. لقد فزت هذه المرة يا (فارس) .

لوح (فارس) بكفه ، وأبسم في سعادة ، وهو يقول :

— لقد اتبعت تعليماتك في دقة يا (مهاب) .

ربت (مهاب) على ظهر تلميذه في فخر ، وهو يقول :

— يسعدني أن هزمتني بتعليماتي يا ولدي .

قال (فارس) ، وهو يجذب معرفة جواده ، ليبدأ مع

مدرّبه رحلة العودة :

— إنني أدّين بكل ما تعلمته ، من فنون الفروسية ، إليك

يا أستاذي .

جذب (مهاب) عنان جواده بدوره ، وتصارا متجاورين ،

و (مهاب) يقول :

— وهذا من دواعي فخري يا ولدي .

سأله (فارس) في اهتمام :

— ولكن هناك أمر يدهشني يا (مهاب) .

قال (مهاب) في بساطة :

— ماهو يا تلميذي النجيب ؟

سأله (فارس) :

— إنك تستخدم سرجًا ولجامًا لخصانك ، وكذلك يفعل

الشيخ ، و (فهد) ، فلماذا لفتني امتطاء جوادى دونهما ؟

لم يجب (مهاب) على الفور ..

لقد فجر السؤال في أعماقه ذكريات بعيدة ..

وانطلق خياله يسبح مع تلك الذكريات ..

وفي أعماقه ، رأى نفسه قائداً لفرسان أمير عظيم ، يختال

بين رجاله في ثوب أبيض وخوذة فضية ، ويتدلى من نطاقه

الأخضر سيف قوى ، على متن جواد ناصع الياض ، دون

سرج أو لجام ..

فارس عظيم ، يواجه هجوم القشتاليين في بسالة وشجاعة ،

ويجوى بسيفه على أعناقهم وصدورهم ، مدافعاً عن حصنه ..

آخر حصون (قرطبة) ..

ولكن يا للخسارة ! ..

سقط آخر الحصون ، تحت ضربات القشتاليين ، وسقط

الفارس العظيم بطعنة غادرة ..

وما زال (مهاب) يذكر آخر كلمات الفارس ..
الصغير أيها الوزير .. الصغير يا (مهاب) .. الصغير
يا (فهد) ..

نطقها ولفظ أنفاسه الطاهرة الأخيرة بين أيديهم ..
ولم يكن هناك مجال للتراجع ..
كانت وصية أعظم الفرسان ..
وأعظم الرجال ..

وبلا تردد ، حمل الوزير و (فهد) و (مهاب) الأمير
الصغير ، الذي لم يتجاوز عامه الأول بعد ، وحملوا ليساب
الفارس ، وسيفه ، وامتطى الوزير جواده ..
وغادروا (قرطبة) ، والدموع تملأ عيونهم ، حزناً على
الفارس الصريع ، والحصن الضائع ..

وهناك .. في معسكرهم الصغير ، على مشارف
(غرناطة) ، أقسم الثلاثة على رعاية الصغير ، ومنحه كل
عبراتهم وفنونهم ..

ولما (فارس) في هذا المعسكر الصغير ..
وتعلم الحكمة والآداب من الوزير ، والفروسية والقتال
من (مهاب) ..

تعلم كيف يقاتل كما كان يقاتل والده ..

كيف يمتطي جواده مثله ، دون سرج أو لجام ..
كيف يصبح امتداداً لأعظم الفرسان ..
وهكذا أصبح الصغير شاماً ..

وصار فارساً ..
أعظم فرسان عصره ..
فارس (الأندلس) ..
ولماذا يا (مهاب) ؟

انتزع السؤال (مهاب) من ذكرياته ، فانتفض انتفاضة
خافتة ، لم تفلتها عين الشاب ، فانهقد حاجباً ، وهو يسأل
(مهاب) :

— ماذا حدث ؟

هز (مهاب) رأسه ، وهو يقول في حزم :

— لا شيء .. لقد شردت فكري لحظات ..

أدرك (فارس) أن لهذا الشرود صلة مباشرة بسؤاله ، إلا
أنه كان يعلم أن (مهاب) لن يجيب سؤاله أبداً ، ولن يكشف
له سره قط ، فتجاهل السؤال بدوره ، وسأل (مهاب) في
هدوء ظاهري ، نجح في إخفاء ذلك البركان الثائر في أعماقه :

— ألم تصلك أخبار جديدة عن القشتاليين ؟

بدا من الواضح أن (مهاب) قد ارتاح لتجاوز سؤال

(فارس) ، فقد أجاب على الفور :

— يقولون في (غرناطة) إن القشتاليين يحاولون تنظيم صفوفهم ، استعداداً للهجوم على (غرناطة) ، وإن ملكهم (فرناندو) يحاول استئالة بعض أمراء العرب ، ليقلل من المقاومة التي ستلاقيها جيوشه ، إذا ما حاولت غزو (غرناطة) .

قال (فارس) في حزم :

— لن ينجح في استئالة عربي واحد .

مطّ (مهاب) شفّيه في أسف ، وقال :

— كنت أتمنى هذا يا ولدي ، ولكن يبدو أن المال يجد

طريقه دائماً ، بين أصحاب النفوس الضعيفة .

قال (فارس) في صرامة :

— ليس بين العرب .

ابتسم (مهاب) ابتسامة مشفقة ، وقال :

— العرب بشر كغيرهم يا ولدي ، ومن الطبيعي أن نجد

ضعاف النفوس بين البشر .

لم يكن هذا القول يروق لـ (فارس) ، ولكنه اكتفى بمطّ

شفّيه ، وزوى ما بين حاجيه ، دون أن يعرض مرة أخرى ، ثم

ازداد انعقاد حاجيه فجأة ، وهو يتطلّع إلى نقطة بعيدة ، لم

يلبث أن أشار إليها ، قائلاً :

— أهذا (فهد) ؟

تطلّع (مهاب) إلى حيث يشير (فارس) ، وبداله الجواد الأسود واضحاً ، تحت ضوء الشمس ، وهو ينطلق عبر السهول ، متجهاً إلى المعسكر الصغير ، إلا أن راكبه لم يكن زنجياً مثل (فهد) ، بل بدا أشبه بفارس من فرسان قصر الحمراء^(*) ، بزيه المزركش ، ودرعه الثقيل ، فقال (مهاب) :

— لا .. إنه ليس (فهد) .

جذب (فارس) معرفة جواده ، وهو يقول :

— فلنسرع إذن .

سأله (مهاب) ، وهو ينطلق بجواده خلفه :

— ما الذي يقلقك هكذا ؟ أليس من الطبيعي أن يزورنا

أشخاص بخلاف (فهد) ؟

(*) قصر الحمراء = آخر وأعظم حصون العرب في (الأندلس) ،

وهو أهم آثار (غرناطة) ، وما يزال قائماً حتى الآن ، وعلى مقربة منه

كاتدرائية من الطراز القوطي ، ولقد سقط في أيدي القشتاليين عام

١٤٩٢ م ، بعد حصار طويل .

أجابه (فارس) ، وهو بحث جواده على الإسراع :

— بل ، ولكن ليس هناك من أثق فيه من زائرنا سواه .

كان ينطلق بجواده في سرعة بالغة ، أجبرت (مهاب) على أن ينطلق بها بدوره ، وهو يتساءل عن ذلك الزائر العجيب ، الذي لم يجد معسكرهم الصغير استقبال مثله قط ..

وفجأة جذب (فارس) ، معرفة جواده (رفيق) بطريقة خاصة ، جعلت (رفيق) يتوقف على الفور ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، في حين أطلق جواد (مهاب) صهيقاً خافقاً ، عندما أجبره الأخير على التوقف المبالغ ، قبل أن يسأل (فارس) في حدة :

— لماذا توقفت هكذا ؟

أجابه (فارس) في حزم :

— يبدو أن الشيخ يعرض للخطر .

التفت (مهاب) في حركة سريعة إلى المعسكر ، ورأى الفارس ممسكاً بجواد الشيخ ، والشيخ يتقدم ليركب جواده ، فقال في توتر :

— أنت على حق ، فالشيخ لا يغادر المعسكر أبداً .

استل (فارس) سيفه ، وهتف في صرامة :

— ولن يغادره بغير إرادته .

ولكن جواده في حزم ، مستطرداً :

— هيا يا (رفيق) .

وكتير كاسر ، انطلق (رفيق) نحو المعسكر ، قبل حتى أن يستعد (مهاب) للحاق به ، والتفت الشيخ في دهشة إلى الجواد الأبيض ، وفوقه (فارس) ، هتف :

— أخطأت هدفك يا رجل .

قبل أن يقفز عن جواده ، ويستل سيفه في وجه الفارس الآخر ، الذي أسرع يستل سيفه بدوره ، وصلصل السيفان في لقاء عنيف ، اختلط بصيحة الشيخ :

— توقف يا (فارس) .

توقف (فارس) عن القتال على الفور ، والتفت في حيرة وتساؤل إلى الشيخ ، الذي أضاف في غضب :

— لا ترفع سيفك في وجه ضيف أبداً .

ارتفع حاجبا (فارس) في دهشة ، وهو يقول :

— ضيف ؟!

ثم التفت في حيرة إلى الفارس ، الذي أعاد سيفه إلى غمده ، دون أن ينس بيت شفة ، والشيخ يقول في غضب :

— ليس هذا ما علمتك إياه يا (فارس) .. الاندفاع والتهور شيمة الحمقى فقط .

تصرّح وجه (فارس) بحمرة الخجل ، في نفس اللحظة
التي وصل فيها (مهاب) ، وقفز عن جواده ، قائلاً باهتامة
عريضة :

— وشيمة الشباب أينما يا سيدي .

قال الشيخ في صرامة :

— الفاشلون منهم فحسب .

لم يرق له (فارس) أن يتم توبيخه هكذا ، أمام شخص
غريب ، فأشاح بوجهه في ضيق ، في حين امتطى الشيخ
جواده ، وقال للفارس الآخر في وقار وشموخ :

— هيا بنا يا ولدي .

امتطى الفارس الآخر جواده بدوره ، واستعد للسير ،
ولكن الشيخ استوقفه ، والتفت إلى (فارس) ، قائلاً في
حزم :

— (فارس) .

التفت إليه (فارس) ، وحاول إخفاء ضيقه ، وهو يقول :

— نعم يا سيدي .

قال الشيخ في لهجة تحمل مزيحاً من الحزم والحنان :

— استعد يا (فارس) ، فأمامك مهمة جديدة .

شجذت العبارة حواس (فارس) وحماسه ، وأزالت في لحظة

واحدة ما كان يملأ نفسه من ضيق ، وهو يسأل الشيخ في لهفة :

— متى يا سيدي ؟

أجابه الشيخ في حسم :

— فور عودتي من رحلتي القصيرة هذه .

سأله (فارس) في لهفة أخذ :

— وما طبيعة المهمة هذه المرة ؟

هز الشيخ رأسه نفياً ، وقال :

— لست أدري .

تطلّع إليه (فارس) و (مهاب) في دهشة ، فابتسم ابتسامة

خفيفة ، وتابع :

— لست أدري بعد .

ثم لكز جواده ، مستطرداً :

— استعد فحسب .

وانطلق مع الفارس مبتعدين ، تاركاً خلفه (فارس) ، وقد

غاص في بحر من الدهشة والحيرة والتساؤل ، دون أن يدري من أمره

سوى أنه ينتظر مهمة ..

مهمة غامضة ..

هب النسيم رقيقاً ، على وجه الأميرة (جميلة) ، ابنة أمير
(غرناطة) ، وداعب خصلات شعرها الأسود في نعومة ، قبل
أن تلتقطه أنفاسها العطرية ، وتغلا به صدرها ، ثم تطلقه في تهيدة
حارة ، وعيناها تسبحان في الأفق ، فابتسمت وصيفتها
(فاطمة) ، وقالت :

— يلوح لي أن سيدنى تستعيد ذكرى محبة إلى نفسها .

تهذت (جميلة) مرة أخرى ، وقالت :

— صدقت يا (فاطمة) .. إنها ذكرى محبة ، وقرية ، لم

تفارق أحلامي أبداً ، منذ ذلك اليوم ، الذى ..

تضرج وجهها بغمة بحمرة الحجل ، وعجزت عن إتمام

عبارتها ، فأفتر ثمر (فاطمة) عن انتسامة حنون ، وهى تقول

في خفوت :

— فهمت .

أشاحت (جميلة) بوجهها في خجل ، وهى تقول :

— فهمت ماذا ؟

أدلت (فاطمة) شفيتها من أذى الأميرة ، وهمت :

— فهمت نوع الذكرى .



تهذت (جميلة) مرة أخرى ، وقالت : صدقت يا (فاطمة) ..

إنها ذكرى محبة ، وقرية ، لم تفارق أحلامي أبداً ..

تضاعف حياء (جميلة) ، وهي تغفم :

— مخطنة أنت ولا شك .

اتسعت ابتسامة (فاطمة) ، وامتلات أكثر بالحنان ، وهي

تقول :

— إننى لم أقل شيئاً بعد .

لوحت (جميلة) بيدها ، قائلة ، والحياء يأخذ منها

مأخذه :

— لا تقولى شيئاً إذن .

قالت (فاطمة) فى حماس :

— كيف ؟ .. لقد رأيت والده منذ لحظات .

الطقت إليها (جميلة) فى لحظة ، تسألها :

— والد من ؟

أجابتها (جميلة) ، وهي تغمر بعينها فى حث :

— والد ذلك الفارس الأبيض ، ذى النطاق الأخضر .

عاد وجه جميلة يتضرع بحمرة الحجل ، وهي تسألها :

— أين ؟ .. ومنى ؟

أشارت (فاطمة) إلى النافذة ، وقالت :

— رأيته من هذه النافذة ، منذ لحظات ، كان يسير بصحبة

أحد لرسائنا ، نحو جناح والدك الخاص .

هتفت (جميلة) :

— حقاً ؟ .. وهل كان (فارس) بصحبته ؟

لم تلبث أن شعرت بحياء شديد ، للبهتها الواضحة عليه ،

فغطت من بصرها ، وتضاعفت حمرة الحجل فى وجنتيها ، فى

حين أجابت (فاطمة) :

— لا .. كان وحده .. يبدو أن مولاي الأمير يريد مقابلته

لشأن ما .

غطت لحظات ، خيم فيها الصمت التام على حجرة

الأميرة ، قبل أن تتمم (جميلة) :

— إنه ليس والده .. إنه مربيه ومعلمه فحسب .

ثم استدركت بسرعة ، وكأنها تخشى أن تسبح أفكار

(فاطمة) بعيداً :

— هكذا أخبرنى والدى .

أومأت (فاطمة) برأسها متفهمة ، وقالت :

— ولكن فيم يريد مولاي ذلك الشيخ فى رأبك ؟

هزت (جميلة) رأسها فى حبط ، وأجابت ، وعيناها

تعودان للشروود :

— من يدري ؟ .. لقد أخبرنى أبى يوماً أنه لا يلجأ إلى هذا الشيخ ،

إلا عندما تصعد الأمور ، وهذا يعنى أن الأمور قد تعقدت الآن .

وازداد شروودها ، وهي تصيف :

— وأن (فارس) سيظهر مرة أخرى .

لم يكد الشيخ يدلف إلى الجناح الخاص للأمير (غرناطة) ،

حتى التفت إليه الأمير ، وقال في لحظة من انتظار طويل :
— مرحباً أيها الوزير .

المنحى الشيخ نصف انحناءة ، أمام الأمير ، وقال :
— لم أعد وزيراً يا مولاي .. لقد صرت شيخاً ضعيفاً
فحسب .

اقرب منه الأمير ، ورثت على كفه ، وهو يقول :
— بل صرت أحكم الحكماء أيها الوزير .
دعاه للجلوس ، وصب له بنفسه قدحاً من الماء ، قال
الشيخ وهو يتناوله من يده :
— عفواً يا مولاي .. أما كان ينبغي أن تستدعي أحد
خدمك .

أجاب الأمير في تواضع جم :

— سيد القوم عادمهم أيها الوزير .

ابتسم الوزير ، مستمناً :

— أدام الله نعمته عليك يا مولاي .

تنهد الأمير ، وقال :

— دعك من هذا أيها الوزير ، واستمع إليّ جيئاً .

اعتدل الشيخ بقدر استطاعته ، وقال :

— كلّي أذان صاغية يا مولاي .

بدا الأمير مهموماً قلقاً ، وهو يقول :

— لا شك عدى لي أن أخبار استعدادات القتاليين قد بلغتك .

أوماً الشيخ برأسه إيجاباً ، وقال :

— سمعت أنهم يحشدون جيوشهم على حدودنا ، وأنا

تحشد جيوشنا في مواجهتهم أيضاً .

قال الأمير :

— هذا صحيح .. من الواضح أنهم يستعدون لحرب

جديدة ، في محاولة لانتزاع (غرناطة) منا .. إننا لا نحشاهم في

الواقع ، فجيشتنا مستعد للقتالهم ، ولكن ما يقلقني هو أن

(فرناندو) ، ملك القشتاليين ، لا يكفى بقتال الجيوش ،

وإنما يحاول إغواء بعض أمرائنا .

سأله الشيخ في اهتمام :

— وكيف له أن يفعل ؟

لوح الأمير بأصابعه ، قائلاً :

— بالمال أيها الوزير .. نفحة الشيطان ، التي تعمى دائماً

أبصار البشر ، وتميت قلوبهم وضمائرهم .

قال الشيخ :

— ولكن أمراءنا لا يحتاجون إلى المال يا مولاي !

مطأ الأمير شفتيه ، وتنهد في أسف ، وهو يقول :

— هذا ما يظنه الناس أيها الوزير ، ولكن الواقع أن بعض

أمراء (الأندلس) همزتهم شهوة المال ، فراحوا يجمعونه بكل

ويفقونه في سفه منقطع النظر .. أتصدق أن أحدهم قد صنع

حارته الأثرية بركة من ماء الورد ، تحيط بها شواطئ من
النير^(*) رفع الشيخ حاحيه في دهشة ، هاتفا
— إلى هذا الحد ؟

أوما الأمير برأسه إيمان في أسف ، فتابع الشبح
— ولكن أي مال يمكن أن يعوى أميراً بهذا الثراء ؟
قال الأمير :

— ربما ليس المال في حد ذاته ، ولكن روعة لصورة التي تقدم بها
بدا التنازل على وجه الشبح ، فتابع الأمير

— كانت فكرة شيطانية أشار بها على (فرناندو) مستشاره
الخاص (هاكل) وهو يهودي دامية كما تعلم لقد دفع
أمهر صائمي الملك إلى صنع سيف من الذهب الخالص ، له
مقص من اللؤلؤ والماس ، وحراب مردان بكل أنواع الأحجار
الكرمه ، بحيث صار ذلك السيف الذهبي كزاً يسيل له لعاب
أثرى الأثرياء ، وتروغ له عيون كل شره تحت المال ولقد
أرسل (فرناندو) مستشاره (هاكل) هذا ، حاملاً ذلك
السيف الذهب ، إلى الأمير (عبدة) . أقوى أمراء
(لأندلس الصغرى) ، تحت حراسة مشددة

(*) حفصة تاريخه ، والنير هو تراب الذهب ، وقد صنع ذلك
لأمير حاربه هذه بركة لآب زادت أن ينهب باصمى ، كطفال
الأرقلة .

سأله الشيخ في اهتمام :

— وهل عشى أن يذهب السيف عقل الأمير (عبدة)

يا مولاي ؟

أوما الأمير برأسه إيماناً ، وقال :

— لست مستعداً للمخاطرة باحتفال حدوث هذا ،

ولا يمكنني في الوقت نفسه أن أجمع وصول (هاكل) إلى

(عبدة) بالقوة ، فلقد محه (عبدة) الأمان ، ووافق على

لذنه ، وعرضي لشخص تحت حماية الأمير (عبدة) . مهسا

كان هذا الشخص ، مبشر حتماً بآخرة الأمير ، وقد بدفع إلى

حرب أهلية ، بعزم الله (سبحانه وتعالى) وحده مداها ، ونحن

في عني عن أية فلاف داخلية ، والعدو يرتصب على الحدود

هو الشيخ رأسه متفهماً ، وقال :

— فهمت يا مولاي إنك تريد أن تجمع (هاكل) هذا

من يوع قصر الأمير (عبدة) ، والاحتجاج به ، دون أن يحد

هذا المبع صفة الدحل ، أو يحمل ما يشير إليه

قال الأمير في ارتياح :

— هذا صحيح أيها الوزير .

ثم استدرك في سرعة :

— وهذا لا يعني أنني أحشي الأمير (عبدة)

قال الشيخ في سرعة :

— إنني أفهم يا مولاي .. أفهم جيداً .

تعلقت عينا (فرناسدو) ، ملك القشتاليين ، بحمامة وحيدة ، تصرب بحاجبها الهواء في قوة ، وهي تسبح فيه في اسبابية حيلة ، متحفة نحو القصر الملكي في (قرطبة) ، وهو الكأس الذهبية في بسراء ، وهو يتمم في حضرة شديد — يبدو أنها هي .

التفتت إليه الملكة (ايرايلا) ، وسألته في حدة . — ماذا تقول ؟

أحاسا في عثوية ، دون أن يلتفت إليها — إنني أتحدث مع نفسي .

ثم التفتت إليها في حركة عبيمة ، مستطرذا .

— وأظن هذا من حق كل ملك — اليس كذلك ؟

احتض وجهها في غضب ، دون أن تبس بث شفة ، في حين أشاح عنها هو بوجهه . وظل يتابع الحمامة المصدرة ، وارتسمت على شفاهه ابتسامة واسعة ، عندما رآها تدلف إلى برج القصر ، وتملكه نشوة مباحة ، جعلته يلتفت إلى (ايرايلا) ، ويرفع كأسه عاليا ، هاتفا — في صحة ملكة (الأندلس) المقلدة

بدا الازلياح الشديد على وجه الأمير ، وقال — هذا السيف الذهبي فتة أيها الشيخ ، وكل ما أسعى إليه هو قتل الفتة في مهدها . ثم التفت إليه ، مستطرذا في حسم : — ودون إشغال نيران فتة أخرى . نهض الشيخ في بطاء ، وهو يقول : — فهمت تماما يا مولاي — إنك تريد مهمة محدودة ، يسنى أن تقوم بها فرقة صغيرة للعبه غمم الأمير — أو أقل من هذا . ابتسم الشيخ ، وهو يقول في بطاء : — بالتأكيد يا مولاي — إنها فرقة من فارس واحد ، أو فارسين . قال الأمير في حسم : — المهم أن يكون أحدهما هو (فارس) ، فأنا والفق أنه سيفعل هذا من أجل . قال الشيخ في صوت قوي النبرات : — معدرة يا مولاي ، ولكنه سيفعل هذا (بإذن الله) من أجل الحق ، ومن أجل هذا البلد . وأصاف في صرامة : — من أجل (الأندلس) . وكانت الدابة ..

وحرع الكأس دفعة واحدة ، وهي تحذف فيه بدهنة ، فر
أن عتف في غضب :

— لا ريب أنك مصاب بالجنون .

فهذه صاحكا ، على عكس ما كانت تتوقع ، والقي بكاسه
على المائدة ، وهو يقول :

— ومن ذا الذي يشاهد هناك الفتان ، دون أن يصاب
بالجنون يا عزيزي (إيرايل) ؟

حذفت ل وجهه بدهنة بالغة ، ثم غمعت ، وقد تسلمت
إلى شفتيها ابتسامة :

— يبدو أنك قد شربت وعاء الخمر كله .

مال نحوها ، هائفا :

— بل سكرت من خمر عينيك يا مليكني .

وعلى الرغم من أسلوبه المدلل ، فقد أسعدتها عبارته .
لهفت :

— عجا " أهدا هو (فرنادو) الذي أعرفه ؟

فهذه ضاحكا ، وهو يقول :

— بل هذا هو (فرنادو) المنصر ، ملك (الأندلس)

المربق ، وصاحب أعظم نصر في تاريخ المنظمة كلها

ثم التفت إليها في حركة سريعة ، وأضاف :

— ولكن هل راقت لك عبارتي ؟

تمت :

— بالتأكيد .

امتلا وجهه بانتسامة كبيرة ، ومرت عياه نظرة ساحرة
ظاهرة ، أطارت نشوتها بعارته ، وحملتها تعود لتقطب حبها
في غضب ، في نفس اللحظة التي تعالت فيها دقات متعجلة على
باب حاحهما الخاص ، قالت (فرنادو) إلى الباب ،
وهتف في لهفة :

— ادخل .

فتح حارسه الخاص الباب ، واندفع عمره حدى مستين
البيان ، دق قدمه في الأرض في قوة ، وهو يصع ربحه عمحاذاة
حسده ، هائفا :

— التحية ل (فرنادو) العظيم .

ومد يده برق ورق إلى (فرنادو) ، الذي احتطف الرق
في لهفة ، وقال للجندي في خشونة :

— هيا .. انصرف .

انصرف الجندي ل سرعة ، وأسرع (فرنادو) بالرق إلى
مائدة حاحه ، وراح يطالعه في لهفة ، ثم لم تلبث عياه أن برقنا
في ظهر وارتياج ، فاقتربت منه (إيرايل) ، تسأله

— ما الذى تحمله هذه الرسالة ؟

أبعد (فرمادو) الرسالة عن عيبيها ، ودستها فى ثيابا رديئة
الملكى ، وهو يقول :

— إنها رسالة من (هاكل) .

قالت فى غضب :

— ولماذا تخفيها عني ؟

أجابها فى خشونة :

— إنه أمر يخصى وهو ، ولا شأن لك به

صاحت فى حدة :

— لا شأن لى به " ! ماذا تظن نفسك

يا (فرمادو) ؟ إنا نخوض هذه الحرب معنا ، ولست

نخوضها وحدك ، ومن حقى الاطلاع على أى أمر يخص حرمنا

أشاح بوجهه ، قائلاً فى غلظة :

— ومن قال إن لرسالة (هاكل) أى شأن بالحرب ؟

تراجعت هائجة :

— عجباً ! أنتظن نفسك ذكياً يا (فرمادو) " ألم

يلعبك ما يتهامون به ، فى كل ركن من أركان قصرك ؟

هز كفيه ، قائلاً فى برود :

— لا يعننى ما يتهامون به .

تابعت فى غضب ، وكأنها لم تسمع عبارته

— يقولون إنك قد كلّفت صائغك الخاص صنع تحفة من

الذهب ، وأرسلت بها (هاكل) ، إلى أحد أمراء العرب ،

لإغرائه بالانضمام إليك ، فى حربك المرتقبة

عقد حاجيه فى غضب ، وهو يقول :

— يبدو أن لسان هذا الصانع يحتاج إلى بعض الاحتصار

قالت فى حدة :

— الصانع لم يمد بحرف واحد ، ولكن القصر مجتمع

محدود ، تنقل فيه الأخبار بأسرع مما تتصور

ران عليهما الصمت لحظة ، خيل لـ (إيرايبلا) حلاها أن

(فرمادو) سيمصح لها عما لديه ، إلا أنها فوجئت به بصرح

فحاة :

— أيها الحارس .

لم يكذبته من عبارته ، حتى فتح حارسه الخاص الباب لـ

عف ، ووقف ثباتاً متحيراً ، ينتظر أوامر سيده ، الذى قال لـ

صرامة :

— اصحب جلالة الملكة إلى حجرتها

اتسعت عينا (إيرايبلا) ، فى دهشة واستنكار ، واحتض

وجهها فى غضب شديد ، إلا أنها لم تشأ إظهار حرج موقفها

أمام الحارس ، فقالت في اعتداد :

— شكرًا لمصدرت الرقيقة يا عزيزي (فرناندو) ،
ولكنني أستطيع بلوغ حجري وحدي ، على الرغم من الدوار
الذي أشعر به .

ورفعت رأسها في كبرياء ، وهي تدفع معادرة حناجره ،
فقال الحارس :

— هل أتبعها يا مولاي ؟

لوح (فرناندو) بكفه ، علامة على النفي ، فأنصرف
الحارس ، وأطلق الباب حنقه وهما صبت (فرناندو) لصفه
كأسًا أخرى وهو يقول :

— فلتذهب تلك المتعطشة إلى الجحيم .

وارتشف رشفة من الكأس ، وهو يصنع إلى الأفق في
شرود ، مستطرذا :

— المهم أن يفتح (هاكل) في مهمته ، وليفتح لنا أبواب
(غرناطة) على مصراعها

وحرج بال الكأس دفعة واحدة كعادته

• إنهم ستة من القشتاليين .. •

تم (فارس) هذه العبارة ، وهو يحكي مع (مهاب)
حلف بعض الأشجار الصغيرة ، يراقبان قافلة (هاكل) ، التي
اقتربت كثيرًا من قصر الأمير (عبيدة) ، وقال (مهاب) :
وهو يفحص القافلة بنظرة خبير :

— إنهم ليسوا مجرد ستة من الحراس فحسب لاحظ أن
كلًا منهم يرتدي درعه كاملاً ، ويحمل محًا من الفولاذ
الدمشقي ، اردان بشعار ملكي خاص

سأله (فارس) في اهتمام :

— وما الذي يعنيه هذا ؟

أجاب (مهاب) ، وهو لا يزال يفحص الخود ببصره .
— يعني أنهم من فرسان الحرس الملكي الخاص ، أقوى
فرسان (فرطنة) ، وأشدهم قوة وبأسًا ، وهم من أشجع
فرسان (قشتالة) و (ليون) .

واعتمد على جواده ، مستطرذا :

— ويعني أيضًا أن هربتهم لن تكون أبدًا باليسيرة
عقد (فارس) حناجره ، وهو يقول في حرم
— هذا لو حاولنا هزيمتهم بالقوة .

ابتسم (مهاب) ، وقال :

— من الواضح أن تعاليم الشيخ قد أثمرت

هتف به (فارس) مستكراً :

— وهل كان لديك شئ في هذا ؟

أجابه (مهاب) مبتسماً :

— مطلقاً .

ثم مال نحوه ، يسأله :

— وما الذي تفرحه بالصبط ؟

تضح (فارس) في حرج ، وقال :

— أنت مدزى .

لوح (مهاب) يده ، قائلاً :

— دعك من هذا . إني أحب سماع خطتك .

صمت (فارس) لحظة مفكراً ، ثم قال

— فليكن .. استمع إلي ..

وروى خطته ..

أوقف (هاكل) حواده ، الذي يتوسط قاعة القشتاليين ،

وأخرج مدبلاً من الحرير الأحمر ، حفف به عرقه ، ثم التفت

إلى قائد كبة الفرسان ، التي تصاحبه ، وسأله

— كم تبقى أمامنا ، لئلا نصل قصر ذلك العربي

يا (فراشيكو) ؟

أجابه قائد الفرسان :

— مسيرة ساعة فحسب يا صاحب الفخامة

التفت (هاكل) إلى حواد قوي يسير حلفه ، وفوقه

صندوق معطى بغطاء من الحرير الأزرق ، وقال

— إني أتمتعل القصر ، فحملنا ثمين

صرب قائد الفرسان بقصته على درع صدره ، وهو يقول

في حرم .

— لا نخشى شيئاً يا صاحب الفخامة . إنا منعمي حملنا

بسيوفنا .

ابسم (هاكل) ، وقال :

— لست أطلب سحباح إلى هذا كثيرًا

يا (فراشيكو) ، فهؤلاء العرب يتمسكون عادة بتقاليد

بالية محيطة ، وماذمننا قد طلبا حمية الأمير (عيدة) هذا ،

فهو ميسخ عليا حمايته ، دون حتى أن يدري هدفنا من

زيارته .

وقهقه ضاحكاً ، وهو يستطرد :

— الشهامة والمروءة والكرم . يالها من صفات غيبة ،

يتشبث بها هؤلاء العرب .

ارتفع فجأة صوت غاضب ، يقول :

— نسبت الكرامة والخوة أيها الحقير .

التفت الجميع في سرعة إلى مصدر الصوت ، وكاد بعض الحراس ينزل سيقه ، لولا أن وحدوا أمامهم رجلاً واحداً ، أشبه المودين ، يرتدى رثاً أندلسياً عادياً ، ويتمسك سطاق من الحديد . يتدلى منه سيف فولادي صحم

وكان هذا الرجل هو (مهاب) ..

وكانت ملامحه تحمل صرامة وحرماً لا مثيل لهما
وفي حشوته وعظمة ، قال (فراشيكو) لـ (مهاب)
— انتعد يا رجل ، إن تحت حماية الأمير (عيدة)
قال (مهاب) في صرامة :

— لم أسمع به قط .

استل (فراشيكو) سيفه ، وانحى حواده نحو
(مهاب) ، وهو يقول في غضب :

— فليكن .. هل سمعت بهذا ؟

ظل (مهاب) ساكناً ، صامت فوق حواده ، يرمق
(فراشيكو) نظرة باردة صارمة متجدية ، حتى اقترب منه
هذا الأخير ، وهو يقول في مخزية :

— يبدو أنك تستحق درهماً قابلاً ، و ...

وفجأة ، ودون سابق إبطاء ، استل (مهاب) سيفه

بدوره ، وهوى به ..

وكفارس من فرسان الحرس الملكي ، اتجه (فراشيكو)
إلى مبادرة (مهاب) في الوقت المناسب ، فرفع محته
(ثرمة) ، ليتلقى عليه صرعة سيف (مهاب)

ولكن سيف (مهاب) خدع (فراشيكو) .

بل خدع كل العيون ، التي شاهدته يخرج من عمده
لقد مال السيف مع حشد (مهاب) ، وتجاوز درع
(فراشيكو) ومحته ، وانخفض بحركة مبانعة سريعة ،
ليصرب حزام سرح حواد (فراشيكو) ، ويقطعه في مهارة
مقطعة الظير ، دون أن يمس بطن الحواد بحدش واحد

ومع انقطاع ذلك الحزام ، الذي يربط السرح بطن
الحواد ، ويثبت فوقه ، انزلق السرح ، وفقد (فراشيكو)
نوابه بعة ، وانزلق مع السرح ليرتطم بالأرض ، وبصرح في
غضب وألم وحرق :

— اللعنة !

ومع سقوطه ، أطلق (مهاب) صيحة ساحرة عالية ،
أشعلت غضب الفرسان النافين ، وحدت عنان حواده ،
وانطلق به متعذراً ..

ول ثورة عصه ، صرخ (فراشيكو)

— الحقوا به .. اقتلوا ذلك الوغد ..
 ودون ذرة من التفكير ، واستحابة لهاف قائدهم ، اندفع
 الفرسان خلف (مهاب) ، فهب (هاكل) صائحاً
 — مهلاً .. لا تصرفوا جيئاً .. مهلاً ..
 صاح به (فرانسيكو) في غضب :
 — ويحك يا رجل لقد أهابهم ذلك العربي الحقير
 كثيراً ، بإهائته لقائدهم .
 هتف به (هاكل) في غضب :
 — أرحد عنهم أيها الغبي ، ورحدهم بعيداً عن حملنا الثمين ،
 لنتيح لغيره الاستيلاء عليه
 التفت عينا (فرانسيكو) في دعر ، وفد أدرك الفبح ، الذي
 سقط فيه كعز سادح ، فاندفع محاولاً اللحاق بمجوده ، صارخاً
 — هودوا أيها الأغبياء .. هودوا ..
 لم يبلغ مداؤه سوى آذان آخر ثلاثة من رجاله ، فأداروا
 أعة جيادهم ، استعداداً للعودة إليه ، في نفس اللحظة ، التي
 خرج فيها من بين الأعصاب فوقه صوت حارم حاسم ، يقول .
 — مبق السيف العزل أيها الغبي .
 رفع (فرانسيكو) عيبه في سرعة إلى أعلى ، وأطلق
 شهقة مذهشة . عندما رفع بصره على الفارس
 فارس (الأندلس)



انزلق السرج ، وفقد (فرانسيكو) توازنه
 بهمة ، وانزلق مع السرج ليرتطم بالأرض

٤ - القوة ..

هبت (غالا) الحميلة واقفة ، في ححررتها الصغيرة ،
وهتفت في صوت يجمع ما بين الدهشة والتساؤل والمفاجأة
- مولائي (إيرايبلا) مرحبا بك في حجرة وصيفتك
المواضعة ، التي ..

أشارت إليها (إيرايبلا) ، وهي تقاطعها في توتر

- لا داعي يا (غالا) .. لا داعي ..

طلت (غالا) واقفة في حيرة ، تتساءل في أعماقها عن سر
زيارة الملكة لححررتها ، وهي التي لم تفعل هذا أبدا ، في حين
انحدت الملكة مجلسها ، على طرف سرير (غالا) ، وأشارت
إلى تلك الأخيرة ، قائلة :

- اجلسي يا (غالا) . أريد التحدث معك قليلا

جلست (غالا) على ركنها ، عند قدمي الملكة ، التي
تطلعت إليها في شيء من الغيرة والحسد ، لم تنجح هذه المرة في
انتهائها كمعادنها ..

كانت (إيرايبلا) حيلة بالتأكيد ، ولكن جمالها هذا كان
يبدو أشبه بصورة باهته شاحبة ، أمام فتحة (غالا) الطاغية ،
وجمالها الساحر ، الذي ألهم قلوب الجميع ، وعلى رأسهم

(فرناندو) نفسه ..

ولكن الهبة الملكية كانت تقضي من (إيرايبلا) دائما
تجاهل هذا ، والتظاهر بعدم معرفته ..
بل استغلاله في بعض الأحيان ..

ولقد لادت (إيرايبلا) بالصمت بعض الوقت ، حتى بلغ
فتق (غالا) ملعه ، ثم قالت في هدوء :

- هل تلقين بـ (فرناندو) هذه الأيام ؟

تصرح واحة (غالا) بخمره الخجل ، وهي تقول في
ارتباك :

- ومن ذا الذي يجزؤ على مخالفة أوامر الملك يا مولائي ؟
أومأت (إيرايبلا) برأسها في مرارة ، وعممت
- نعم .. من ذا الذي يجزؤ ؟

ثم رفعت أنفها في شموخ ، وتلاشت المرارة من صوتها ،
وهي تقول :

- حسنا يا (غالا) سيميدني اقترابك منه ، في هذه
الأيام ..

أدركت (غالا) بدكانها ما ترمي إليه الملكة ، فمالت
نحوها في ببطء ، وسألتها في خبث :

- ما الذي تريد مولائي بمعرفته ؟

سألتها الملكة في اهتمام بالغ :

— أريد منك أن تعزلي منه سر ذلك الشيء ، الذي طلب
من صائعه صمعه ، والسبب الذي أرسل من أحله (هاكل) إلى
أرض العرب .

ارتسمت على شفتي (غالا) ابتسامة واسعة ، وهي
تراجع قائلة في دهاء :

— وهل تحتاج أحوبة مثل هذه الأسئلة ، إلى الاقتراب من
مولاي الملك يا مولاتي ؟

اعتذلت (إيرايبلا) في اهتمام ، وهي تقول

— ماذا تعين ؟

لوححت (غالا) بكفها ، قائلة :

— جدران هذا القصر لا تخفي أية أسرار يا مولاتي

هضت (إيرايبلا) :

— إذن فأنت تعلمين كل شيء .

انحنت أمامها (غالا) ، وهي تقول في مكر .

— ونحنت أمر مولاتي الملكة .

أمسكت (إيرايبلا) كفي وصيبتها الأولى ، وهي تقول في

هفة وفصول :

— هيا يا (غالا) هيا أبلغني مالدبك

أردادت الجماعة (غالا) ، وهي تقول .

— سمعا وطاعة يا مولاتي .

وألقت على مسامع الملكة ما لديها

انطلق (مهاب) على جواده في مهارة ، وحمله ثمانية من
أقوى فرسان الحرس الملكي ، يسعون للإمساك به ، ومعاقبته
على إهانة قائدهم ، ولكن هذا لم يفت في عصف (مهاب) ،
الذي انطلق ملوفا بسمه ، وهو يهتف

— هيا أيها الأوغاد ريدوا من سر بجنكم هيا .

انحس ، وهو يعبر أسفل غصن قوي ، ثم مال جانبا ، ورفع
سمعه ، ليهوى به على حبل في حدائل الأعصان ، يهذب هذا
العصن القوي ، وهو يقول :

— هيا .. انطلق .

لم يكد حبل حدائل الأعصان بقطع ، حتى أفلت العصن
القوي من عقاله ، وانطلق كسوط ضخم في وحوه الفرسان
التيابة ، وارتطم بوحوهم كحلمود صحر . أطلقه صبحيق
قوي " " ، فاترع ثلاثة منهم من فوق حياهم ، وألقاهم أرضا

(*) الصبحيق آلة حربية قديمة ، تعتمد على حذب مقلع صخيم .

بوساطة حبل صلب . وروص صخرة صخمة ، أو كبل منسجعة ، في
تحويص المقلع ، وإطلاق الحبل . بحيث تتحول الصخرة ، أو الكلة
المنسجعة إلى ما يشبه قبلة حوية عيمة .

في عصف ، وأصاب وجه الرابع إصابة عيفة ، فصرح في عصب :

— لن تفلت أيها العربي .

لم تكن في حجة (مهاب) ، أية وسائل حذائية أخرى ، فواصل انطلاقه نحواده ، وهو يقول لنفسه

— أنتعشم أن تكون قد انتهت من مهمتك الآن يا (فارس) .

كان يحمي في فراره على سرعة حواده ومهارته ، فراح بلكزة بكعبيه ، وهو يتف به :

— ها يا صديقي انطلق بأقصى سرعة إليك أمل الوحيد .

ولكن فجأة بدت أمامه تلك المحورة العميقة

كانت محورة واسعة ، يعجز حواده عن عبورها ، وعميقة ، سبى حته حتماً ، لو سقط داخلها

ولم يكن هناك مفر من التوقف ..

ومن المواجهة ..

وبكل ما تمت من قوة ، حذب (مهاب) عنان حواده ، الذي توقف على قدم دراج واحد من أفرة ، ثم استدار استجابة لندسه ، ونوقف يواجه الفرسان الخمسة ، الذين استلوا

سيوفهم ، وأطلقوا صيحات الطمر ، وهم ينفصون على (مهاب) ..

ولكن (مهاب) انتظر حتى اللحظة الأخيرة ، ثم جذب عنان حواده جانباً ، هو يسحب متعادلاً سيوف خصومه ، ويهتف بجواده :

— الآن يا صديقي ..

انطلق به الحواد جانباً ، تمحادة حافة الهوة ، في حين فوحىء الفشتاليون بوحودها ، فحذبوا أعة حيادهم ، ولكن الحياذ تخطت بعضها البعض ، وتدافعت دون وعى ، فدفعت أمامها أقرب حوادين إلى حافة الهوة ..

وسقط الحوادان بفارسيهما في الهوة

وامتزع سهيل الحوادين بصرخة الفارسين ، مع هتاف الفرسان الثلاثة الباقين :

— اللعنة !

ثم أدار الثلاثة أعة حيادهم ، وانطلقوا مرة أخرى بطاردون (مهاب) ، وقد ولد العصب والرغبة في النار ، بركائنا من القوة والحماس في عروقهم ونفوسهم ، في حين اتخذ (مهاب) نحواده طريق العودة ، إلى حيث القافلة ، وهو يقول لجواده :

— حاول أن تسبقهم يا صديقي ، فرمما كان (فارس) في حاجة إلى معاونة .

ولكن يبدو أن غضب القشتاليين قد انتقل إلى حيادهم ، التي هتت الأرض بها ، ورادت من سرعة عدوها ، حتى لبافست المسافة بينها وبين حواد (مهاب) في سرعة ، ولحقت به عند بداية طريق الأشجار ، الذي يقود مرة أخرى إلى حيث القافلة ..

وفجأة ، وحد (مهاب) نفسه محاطاً بالفرسان الثلاثة .

وارتفعت السيوف الثلاثة في وجهه ..

ولم يعد هناك مفر من القتال ..

والتفت السيوف ..

وشعر (مهاب) بقلق حفيفي هذه المرة

كان من الواضح أن حصومة الثلاثة من أقوى الرجال ،

وأمر الفرسان ، الذين قاتلهم في حياته كلها

صحيح أنه أيضا فارس ومبارر لا يستهان به ، وأنه كان ،

ومايرال ، واحدا من أقوى وأبرع فرسان العرب ، ولكن

مواجهه ثلاثة من أقوى الرجال في آن واحد ، أمر يعجز عنه

حتى أشد الفرسان ..

ومع هجومهم العاصب الشرس عليه ، ارتفعت السيوف

فوق عقه ..

وهوت ..

وضاع من قلبه كل أمل في النجاة ..

مضت لحظة قصيرة للعامة ، و (فراشيسكو) يحدق في وجه (فارس) وزيه الأبيض ، وحرملته وبظافه الحصاراوين ، وهو يجلس بين أغصان الشجرة الصخمة فوق رأسه ثم قطع (فارس) هذا الموقف بصغير متصل طويل ، أطلقه من بين شفتيه ، دون أن يبالى بالفرسان الثلاثة ، الذين يدفعون لمؤازرة قائدهم ..

ولم يفهم الجميع في البداية ، ما الذي يعنيه هذا الصغير

ثم ارتفع صهيل حواد ، من الناحية المقلبة

ومرر (وفيق) ..

برر الحواد العربي الأبيض الأصيل ، من بين الأشجار ،

دون مرجح أو لحام ، وهو يعدو نحو (هاكل) ، الذي يفصله

عن الشجرة الصخمة ، التي عليها فارسه

وأطلق (هاكل) ، شهقة دعر ، وانحنى فوق حواده في

خوف ، عندما وثب اخواد وثلة رائعة ، عبرها اليهودي

وحواده ، ثم اندفع نحو الشجرة ، فصر (فراشيسكو)

حائنا ، متفاديا الخوادم القوي ، في حين تسمى الفرسان الثلاثة
الآخرون ، وهم يحدقون في ذلك المشهد في دهول
وأمام كل العيون الذهبية ، وث (فارس) من فوق
النخلة ، وانعكس الضوء عن حودته القصية ، لبعضى أعين
الفرسان الثلاثة ، قل أن يستقر فوق متن حواده ، ويحدث
معرفة ، هائفا :

— الآن يا (رقيق) .

ودون أن يصيح الخوادم لحظة واحدة ، انطلق كالريح نحو
الخوادم ، الذى يحدبه (هاكل) خلفه ، والذى يحمل الصندوق
المغطى بالحرير الأزرق ..

وصرخ (هاكل) ، وهو يلوح في دعر :

— لا .. لا .. اتعد .

وهنا اسه (فرايسكو) ، فصرح بدوره ، محاطا
رجاله :

— امهرو .. أسرعوا .

انقض الفرسان الثلاثة نحو (فارس) ، ولكن هذا الأخير
كان قد بلغ الخوادم المنحود ، فاسل سببه ، ولفص أريطة
لصندوق بصريين سريعين راعين ، ثم التقط الصندوق ، دا
الغطاء الحريري الأزرق ، وانطلق بعدو متعدا ، و (هاكل) يصرح

— لقد سرق السيف .. السيف الذهبى .

انطلق الفرسان الثلاثة بطاردون (فارس) في إصرار ،
لاستعادة السيف الثمين ، ولكن خوادم (فارس) كان يبتلق
بسرعة مذهلة ، ويناور ويراع في مهارة مقطعة الظير ،
أدرك معها الفرسان الثلاثة أن خافهم به بعد مستحيلا فصاح
أحدهم في غضب :

— أمطروه بسهامكم .

سحب كل منهم قوسه وشابه ، وصوبوا سهامهم إلى ظهر
(فارس) ..
وأطلقوها ..

وانحس (فارس) ، متفاديا ذلك المطر القاتل ، المهمر
عليه ، وهو يبحث حواده على الإسراع ، قائلا

— انطلق أسرع يا (رقيق) ! يا نواحه ثلاثة من
الأوغاد ، لا يتوزعون عن إطلاق سهامهم على ظهر الخصم
لم يكذب بطق القول ، حتى انته الحى هذا ، فأصاب في
غضب :

— وعلى الرغم من هذا ، فحسن نصر أمهم كالحاء
التيب حماسة وبحرته لفكرة ، ورأى موحدة أخرى من السهام
تعر من فوق رأسه ، فهتف بكل فورة الشباب في أعماقه
— لا يا (رقيق) لن نهرب هكذا .

وبخدة حاسمة لمعرفة حواده . استجاب الخواد على الفور ،
 وتوقف ، ثم استدار يواحه الفرسان الثلاثة .
 ونخوة عريضة ، امرحت سائر المفاحة ، أوقف
 الفرسان الثلاثة جيادهم أيضا ..
 ومضت خطوات طويلة من الصمت والكور
 والتفت الطرات في تحد وحرم وعرامة
 وفي أعماقهم ، شعر الفرسان الثلاثة بالقلق والدهشة في ان واحد
 القلق لذلك الإجراء الاستحاري ، الذي قام به (فارس)
 وكأنه يتحدى ثلاثهم في حزم ..
 والدهشة لذلك الري الذي يرتديه ، ودين الخواد الذي يتطلبه
 لم يكن أحدهم قد واحد في حبه حصفا كهذا ، لا يرتدي درعا ،
 ولا يحمل مخا ، ولا يستخدم حواده سرحا أو جاما
 كانت كل علامة مفردة من هذه العلامات تعني أن صاحبها فارس
 عظيم ، ومقاتل مفوار ، لا يشق له غبار
 فمادا لو اجتمعت كلها في فارس واحد ؟ ..
 ولكن بعداهم ويواجههم بكل نكه وعرامة
 وهذا بطرح كل الأمور الأخرى جانبا ..
 وفي حرم ، انشئ ثلاثة فرسانهم ، راسوا سيوفهم ، و
 وبدأ القتال دفعة واحدة
 وبكل طرسة



لم يكن أحدهم قد واحد في حياته حصفا كهذا ، لا يرتدي درعا
 ولا يحمل مخا ، ولا يستخدم حواده سرحا أو جاما

كان من المستحيل ، على الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، أن يتسلم قائد الفرسان السابق (مهاب) ، أمام أعدائه ، مهما صغر الأمل في فوزه عليهم ، ومهما تصاءلت فرصته في الفوز ..

لذا فقد استغل (مهاب) السيوف الثلاثة على بصل سيفه في أن واحد ، وصنّدها بكل ما يمتلك من قوة ، وشعر بساعده يكاد يهتز تحت وطأها ، فراح في حركة سريعة ، وأفلت سيفه من السيوف الثلاثة ..

وأطلق الفرسان القشاليون صيحة عصب ، وانقصوا عليه مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، كانت انقصاصاتهم قوية مدروسة ، فلقد هاجمه أحدهم مباشرة ، والفت الثاني من حلعه ، في حين قطع الثالث حزام سرحه ، كما فعل هو سابقاً مع قائده (فرانكسكو) ، وهو يقول في تشف :

— هذه هي البداية .

حاول (مهاب) أن يشنّ عواده ، على الرغم من انقطاع حزام سرحه ، وخرج بطن عواده ، ولكن صرعة سيف

القشالي الأول أفقدته نوابه ، وأحترته على القوط أرضاً وانقص الفرسان الثلاثة على حصصهم للمرة الثالثة .

وأطلقوا صرخة شامتة واعدة ، و ..
وفجأة ارتجّ الطريق الصحري بتلك الصرخة الهائلة الخيفة ..

صرخة ، أرحفت حتى قلوب فرسان الملك الثلاثة ، على الرغم من أنها قد أثلحت قلب (مهاب) ، الذي هتف —
— هذا الله .. إنه هو .

وفي نفس اللحظة ، التفت القشاليون الثلاثة إلى مصدر الصرخة

وفي اللحظة التالية ظهر أمامهم (فهد) .
مرر ذلك الرعبي الأسود بعة ، على صهوة عواده الأدهم القوي ، كما لو كانت الأرض قد امتشقت وأبجته ، دون سابق إنذار ..

ومع صرخته الثانية ، التي رلرت القلوب ، هوى سيفه الصخم القوي ..

ورفع أحد القشاليين الثلاثة سيفه ، في محاولة لصذ سيف (فهد) ، ولكن سيف هذا الأخير هوى على سيفه كالصاعقة ، فافتلعه من يده ، وأطاح به بعيداً ، ثم أدار (فهد) صفحه

سيفه . وهوى بها على صدع الفارس . فاقطعه من فوق
حواده . وألقى به أرضاً ، ثم التفت إلى الفارسين الآخرين
ومن المؤكد أنها كانت تحربة محيطة رهبة . بالنسبة للفارسان
الثلاثة ، فعل الرغم من ثقتهم الشديدة ، في أنهم أقوى وأشجع
فرسان (قشتالة) . فقد حردهم (فهد) من سيوفهم في
لحظات . وألقى بهم من فوق حوادهم . دون أن يصيبهم بخدش
واحد ..

وانطلقت الحياض تعدو متعده . وكأنما أصابها الرعب . في
حين شعر القشتاليون الثلاثة بتوتر بالغ . وهم يواحهون
(فهد) وسيفه القوي ، دون سلاح . وتصوّروا في لحظة أن
(فهد) سيفهم دون رحمة . وخاصة مع تلك الطفرة الخفية ،
المطلقة من عيبه . إلا أن (مهاب) صاح بهم في صرامة
— ها .. ابتعدوا .

لم يصدّقوا ادّابهم ، فاستلقوا متعدين . فل أن يعود عن
فرازه . وحمص (فهد) سيفه ، وهو يراقب ابتعادهم في
صرامة . في حين اسم (مهاب) في ارتياح . وهو يقول له
— كب أعلم أنك ستظهر في الوقت المناسب يا رجل
التفت إليه (فهد) في صمت . فأضاف (مهاب)
— ولكي تصورت أنك ستفهم بلا تردد

القوى حاحا (فهد) . وفتح فيه المعلق دائماً ، ليقول في
اقتصاب ، وبصوت عميق . يبدو وكأنه يأتي من أعماق
صحيقة :

— كانوا على أرضنا .

هتف (مهاب) :

— على أرضنا ؟!

ثم انصرف صائحاً ، وهو يربّت على كعب (فهد) القوي ،
مستكبراً :

— يا لشهامتك الطبيعية يا رجل إنيك بالفعل عروى .
من قمة رأسك حتى أخمص قدميك .

لم يد على (فهد) أدنى قدر من الاهتمام ، بعبارة المدح ،
التي ألغها (مهاب) على مسامعه . بل تطلّع إليه بظفرة
صارمة ، وهو يسأله بكلمة شديدة الاقتصاب

— أين (فارس) ؟

صرب (مهاب) حبه براحة ، وهو يتف

— (فارس) ؟! .. يا إلهي ! ..

ثم أمسك كعب (فهد) . مستطرد في أفعال

— أسرع يا يا رجل . فمن المؤكد أن (فارس) يواحه

الخطر وحده .. أسرع بنا باقة عليك .

عندما بدأ القتال ، بين (فارس) وحصومه الثلاثة ، كان هؤلاء يتوقعون هجوماً تقليدياً ، كذلك الذي تدرّبوا على مواجهته طويلاً ..

ولكن (فارس) لم يمنحهم هذا

لقد تلقى تدريباته على يد قائد الفرسان (مهاب) ، وتعلم على يد أحكم حكماء (الأندلس) .. وهذا المزيج لا يستهان به ..

وعندما انقصر على حصومه الثلاثة ، كان يعلم أنهم سيستعدون لمواجهته على نمط تقليدي ، وأن عليه أن يهاجمهم سمط غير مأثوف ، حتى يمحى بهمة نقطة تفوق عليهم ، تقلل من امتيازهم العددي ..

وهكذا فعل ..

لقد انطلق نحواده نحو فارس المصنف مباشرة ، وكأنه سيلتحم معه بسيفه ، ثم حدث معرفة حواده في اللحظة الأخيرة ، نحو فارس الجيمة ، هائفاً :

— الآن يا (رفيق) .

وحاءت اسحاته (رفيق) سربعة قوية كالنماد ، ووثب وثبة رائعة لدهنه ، وهو يطلق صهلاً قوياً ، وبدأ في وثبه وكأنه سيصير صدر فارس الجيمة نحو امره ، مما جعل ذلك

الفارس يحس متفادياً الوثبة ، فعبر (رفيق) بفارسه فوقه ، في نفس اللحظة التي أدار فيها (فارس) سيفه إلى اليسار ، وهوى به على سيف فارس المنتصف ، وهو يقص على الصدوق ذي الغطاء الأزرق بعصده في قوة ..

وهبط (رفيق) حلف الفرسان الثلاثة ، الدهس أصابعهم الارتيك ، ثم استدار مرة أخرى ، استجابة لفارسه ، الذي لوّح بسيفه ، وهوى به على حوذة أحد الفرسان الثلاثة ، ثم دفعه في وحد الثاني دفعة مباحنة ، أفقدت الفارسين توازيهما في خطوة واحدة ، فسقطا عن حواديهما ، وهما يطلقان سباً ساحتاً غاصاً ، جعل الفارس الثالث يهف — وهلك أيها العربي .

ولكن (فارس) اسقبل سيف القشتالي على حافة سيفه ، ودفعه بعيداً ، ثم هوى بدورته على القشتالي ، الذي صد الصدمة بترسه ، هائفاً :

— لن تسبح أيها العربي ، دون درع أو محن

رفع (فارس) سيفه ، وأداره في اهواء بسرعة مذهشة ، ثم هوى به على الخائب الأيسر من الفارس ، قائلاً — أنظر هذا أيها القشتالي .

أمال القشتالي ترسه إلى اليسار ، ليصد سيف (فارس) ،

إلا أن هذا الأخير راوغه بعتة ، وأمال سيفه إلى اليمين ، وصرب
سيف القشتالي صربة قوية ، أطاحت به في مهارة ، فراجع
الفارس الملكي في دعتة ، و (فارس) يقول .

— ما رأيك يا رجل ؟

لم يمس القشتالي بيت شفة ، في حين حذب (فارس)
معرفة حواده ، وانطلق به مبتعدا في سرعة ، وهو يحمل
الصدوق ، وهب الفارسان الساقطان إلى زميلهما ، وهما
يهتفان :

— فللحق به .

صم القشتالي قبضته على عان حواده في عصب ، وهو
يقول :

— لن نلحق به .

ففر أحدهما على متن حواده ، وهو يقول في غضب
— فلنحاول .

صاح به زميله :

— لن نلحق به أبدا .

توقف الفارسان الثلاثة لحظة ، لئلا يثر حلالها اساح بينهما في
شدة . وكادوا يسكرون في مشادة عبثية ، لولا أن عاب
(فارس) على أنصارهم ، وحسم خلافهم ، ولم يعد أمامهم

سوى العودة إلى حيث يقف قائدهم (فرانيسكو) ، وهم
يجرون أذيال الخيبة ..

لقد هزمهم فارس عربي واحد ..

فارس من طراز خاص ..

تفخر الغضب في وجه (هاكل) وصوته ، وهو يصرخ في
وجوه الفرسان :

— ثلاثة من العرب فحسب . ثلاثة هزموكم ، يا أقوى
وأشجع فرسان قشتالة . كيف تتوقعون أن يهزم العرب يوما
إذن ؟

هقد (فرانيسكو) صاحبه في صيق ، وهو يقول .

— لقد باغثونا يا صاحب المعامة ، ولم

قاطعه (هاكل) صائحا :

— بل خدعوكم باقائد الفرسان . خدعوكم كما لو كنتم للة
من الحمقى ، ومحجوا في الحصول على الصدوق ، السذي
يتمرن أن تبدلوا أرواحكم ، في سيل الخفاط عليه .

قال (فرانيسكو) في حنق :

— لقد بذلنا أقصى جهدنا ، وفقدنا رحلين ، و

صرخ (هاكل) ، بقاطعه للمرة الثانية

— وهذا أسوأ ما في الأمر أنكم قد بدلتكم أقصى
جهدكم ، فهو يعنى أنكم ، يا أعظم فرسان اللطاف ، لا تساورون
شئنا أمام فرسان العرب .

اندفع أحد الفرسان يقول :

— من المستحيل أن يكون كل فرسان العرب هكذا ، وإلا
لما انحسار في استعادة (قرطبة) منهم من قل — إنك لم تر هؤلاء
الشياطين الثلاثة ، الذين قاتلناهم — لقد كان أحدهم أبيض
بشيطان أسود ، والآخر يقاتل كالوحوش ، أما ذلك الثالث ،
ذو الرداء الأبيض ، فهو ..

قاطعه (هاكل) :

— كل هذا لا يعنى — المهم أنهم أحدوا الصدوق

وبدت لهم لهجة مخيفة ، وهو يتطرد :

— ولن يروق هذا لمولانا (فرساندو) أبداً

تبادل الفرسان العشرة نظرات الفسق والتوتر ، وعمهم

فأندهم (فرانيسكو) :

— كان مفروض أننا في حمية الأمير (عبيدة) ، ولم نتوقع

هجومنا مباغتاً كهذا .

قال (هاكل) في افعال :

— هذا صحيح ، ومن الضروري أن نستعمل هذا حيناً

سأله (فرانيسكو) في دهشة :

— كيف ؟

تجاهل (هاكل) سؤال قائد الفرسان ، وقال في صرامة .

— أعطني واحدة من حمامنا الزاجل .

أشار (فرانيسكو) إلى أحد رجاله ، فأنحه إلى حواد يحمل

فصاً كبيراً ، يتلىء بالحمام الراحل الأبيض الجميل ، فالتقط

منه واحدة ، وناولها إلى (هاكل) ، الذي ناولها بدوره إلى قائد

الفرسان ، قائلاً :

— أمسك هذه ، وأعطني قلماً ورقعة رسائل

ناوله أحد الفرسان ريشته ومحرته ورقعة جلدية مصفوفة ،

فعمس (هاكل) ريشته في محرته ، وراح يخط بهصع كلمات

على الرقعة الصغيرة ، فسأله (فرانيسكو) :

— ما هذه الرسالة ؟

أحانه (هاكل) ، وقد انتهى من الكتابة ، وراح بهصع

الكلمات ؛ ليخفف الحبر :

— إنها سلاحنا الجديد .

مطأ (فرانيسكو) شفتيه في احتقار ، وهو يقول

— سلاح ؟

طوى (هاكل) الرقعة ، واستعاد الحمامة الراحلة ، وراح

يربط الرقعة المطوية على ساقها في عناية ، وهو يقول في بحث
 — نعم يا قائد الفرسان إني وجلاله الملك قد قررنا
 إدخال القلم كسلاح جديد في معركنا
 وأطلق الحمامة ، التي رهرلت بمحايها ، وانطلقت عائدة
 إلى (قرطبة) ، وهو يستطرد :
 — ولير من ينصر هذه المرة السيف أم القلم ؟
 واتسم ابتسامة كبيرة ..
 وغامضة ..

نوح (فارس) بيده في حرارة ، عندما لمح (مهاب) ،
 وهو يطلق نغمة ، على من حواده ، واتسم في ارتياح ، عندما
 بلغه هذا الأخير ، وقال :
 — حمدًا لله أنت قد نحت مثل يا صديقي ماذا أصاب
 حرام سرجك ؟
 أجابه (مهاب) ضاحكًا :
 — لقد اسقم أحد الفرسان ، أصاب قائده ، فمرق حرام
 سرجي ، ولقد أصلحته قبل عودتي .
 سأله (فارس) :
 — وهل هربت الفرسان الهاربة عنهم وحدك ؟

هز (مهاب) رأسه نفيًا ، وقال :
 — لا .. لقد حاولني (فهد) .
 اعتدل عني (فارس) ، وهتف في ضجة :
 — (فهد) ^{١٤} أين هو ؟ إني أتوق لرؤيته
 ربت (مهاب) على ذراعه ، وهو يقول منسفاً :
 — ستراه عندما تحتاج إليه .
 أوماً (فارس) برأسه ، ونم في ضيق :
 — كالمعتاد .
 أنار (مهاب) إلى الصدوق ، المعطى بالخبر الأرق ،
 وهو يقول :
 — هل نحت في الحصول على السيف ؟
 أوماً (فارس) برأسه إنحناء ، وقال في شيء من الرهق :
 — نعم لقد أسبنا المهمة هذه المرة في زمن قياسي
 تهذ (مهاب) في ارتياح ، وقال :
 — حمدًا لله .
 ثم أضاف في فضول :
 — دعنا نلقي عليه نظرة .
 قال (فارس) في حزم :
 — لا .. ليس قبل أن نصل إلى الشيخ .

لُوح (مهاب) بكفه ، قائلاً :

— هيا يا بني لا داعي للعناد من الضروري أن تتأكد من أننا قد حصلنا على ما نبتغي .

صمت (فارس) لخطات مفكراً ، ثم قال

— نعم .. أنت على حق .

وأزال العشاء الحريري الأروق في رفق ، ثم فتح الصندوق المستطيل ، وهو يقول :

— نظرة واحدة فحسب .

وأطلق (مهاب) شهقة اسهار ، عذم انفتح الصندوق ، ووقع بصره على السيف الذهبي ، ومقبضه المثلني بالأحجار الكريمة ، وهتف :

— ياله من تحفة رائعة !

هز (فارس) كتفيه ، وقال :

— إنه جميل ، ولكنه لا يهمني مثلك .

صحك (مهاب) ، وهو يقول :

— لقد فتح السح . في أن يحصلك صد أعراء الذهب

ثم مد يده بيمسك السيف ، فأبعده (فارس) عن أصابعه .

قائلاً في حزم :

— قلنا إنها نظرة واحدة فحسب .

ولكن أصابع (مهاب) كانت قد لمت السيف بالفعل ، فأعادها إلى جواره ، وهو يقول :

— للأسف .

ثم انعقد حاحاه في شدة ، وهو يتطلع إلى أصابعه في دهشة ، قبل أن يهتف :

— افتح الصندوق يا (فارس) دعني أحضر ذلك السيف اللعين .

لم يعرض (فارس) هذه المرة ، فقد أدرك من شهقة (مهاب) أن شيئاً ما قد حدث ، فأسرع بفتح الصندوق ، وبديه من (مهاب) ، الذي أمسك السيف ، وانترعه من مكانه ، ثم صاح في غضب وغضب :

— اللعة ! .. لقد حدثنا هؤلاء الأوغاد .

سأله (فارس) في ثوتر :

— ماذا هناك ؟

ألقى (مهاب) السيف أرضاً في حق . وهو يهتف

— إنه سيف زائف .. زائف .

وكانت معاجاة مذهلة .^٥

٦ - الخدعة ..

كان الملك (فرناندو) قد انتهى من إدارة شئون البلاط منذ قليل ، وعاد إلى جناحه الخاص ، وحلج عن رأسه تاج الملك ، وتمدد فوق مقعده الوثير ، عندما افتحمت الملكة (إيرابيللا) المكان في عصف ، وحلفها الحارس الخاص لـ (فرناندو) ، الذي ارتبك وهو يقول :

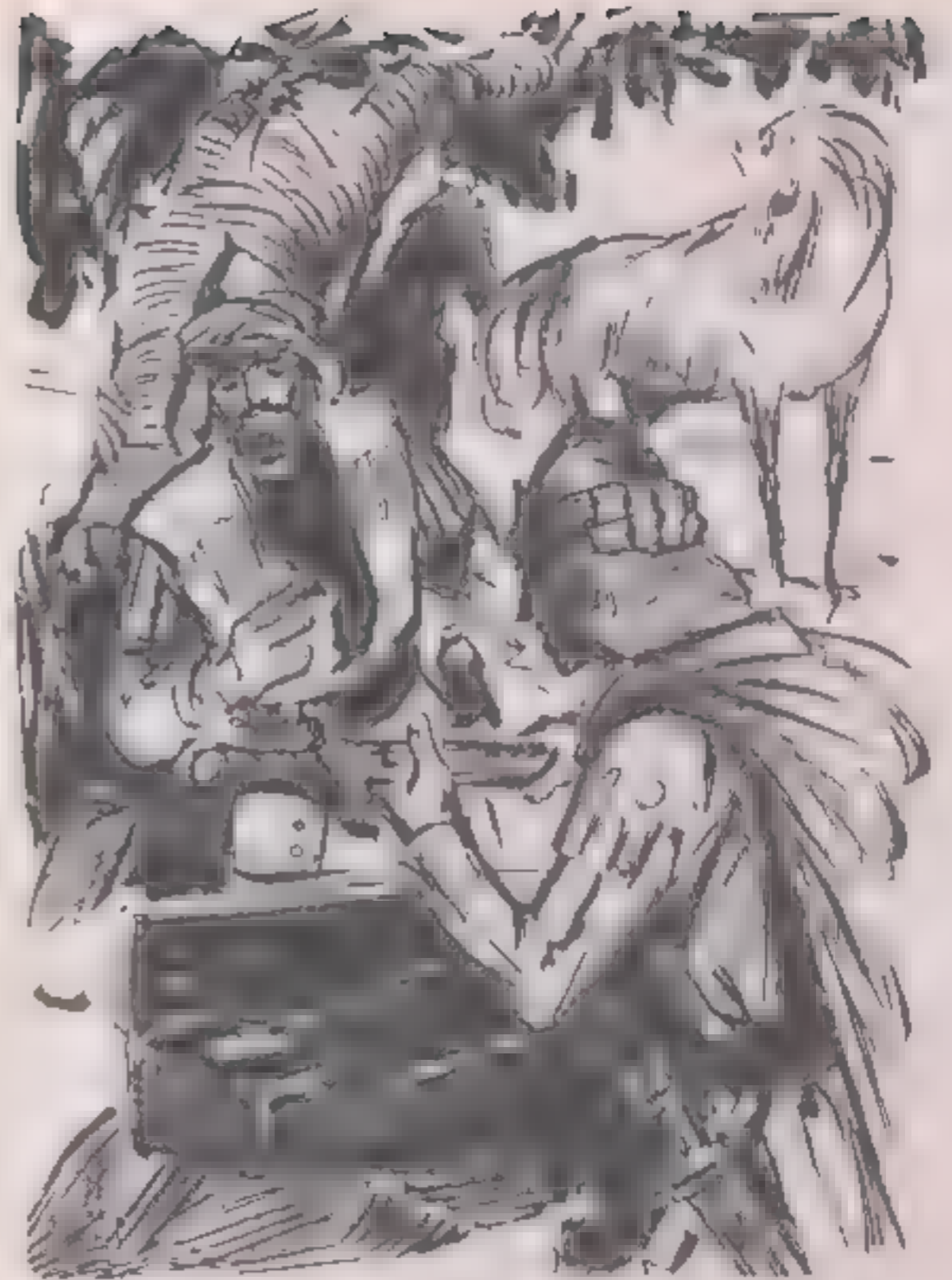
— عفوا يا مولاي مولاتي الملكة لم تمحى وقعا للاستحسان .

اعتدل (فرناندو) في هدوء ، وهو يشير إلى الحارس ، قائلا :

— لا عليك يا رجل . مولاتك الملكة صاحبة الحق ، في دخول أبيه حجرة من حجرات القصر ، حتى الحياح الملكي تراجع الحارس في سرعة ، وأغلق الباب خلفه ، في حين ارتسمت على شفهي (فرناندو) ابتسامة شبه ساحرة ، وهو يقول :

— مرحبا بمنكة (قشتالة) و (ليون) ، في جناح ملك (أرجون) المراضع .

اندفعت نحوه في ثورة غاصة ، وهي تقول



فقد أدركت من خلفه مهيب ، ان شهاب قد حدث فاسرع بفتح لصدوق

— ما الذى تفعله من وراء ظهري ؟

هز كفيه لى لا مبالاة ، وقال :

— وما الذى يمكن أن أفعله من وراء ظهرك ، يا ملكة

الملكات ؟

صرت مقعده بقصتها فى غصبت ، وهى تقول

— لقد أرسلت (هاكل) إلى أحد أمراء العرب ، حاملاً

سبفاً من الذهب ، يساوى ثروة كاملة .

بعض من مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

— وماذا فى هذا ؟

صرخت :

— لماذا أعليت الأمر عني ؟

التفت إليها برود ، وهو يقول :

— لأن النساء لا يمكن الحفاظ على الأسرار يا عزيزتى

صاحت فى حنق :

— لست بمجرد امرأة فى بلاطك يا (فرنادو) . إيسى

ملكة من أعظم سلالات الملوك

عقد حاجيه ، قائلاً فى حدة :

— ولكنك امرأة .

صاحت :

— وهل حفظ الرجال أسرارك ؟ .. القصر كله يعلم كل

تفاصيل خطتك هذه ، ولست أعتقد أن يكون أمير العرب

نفسه على علم بها .

هز كفيه ، قائلاً :

— وماذا فى هذا ؟ . دعيه يعلم ما يحلو له

وصب لفسه كأساً من الخمر ، وهو يستطرد :

— لقد أرسلت رسولاً إلى الأمير (عبيدة) ، أطلب منه

استقبال (هاكل) وطاقم حراسته فى قصره ، وإحاطتهم

بحمايته ، منذ عبورهم حدود (الأندلس الصغرى) ، وحتى

وصولهم إلى قصره ، ولقد وافق الأمير ، وهو يجهل الغرض من

زيارة (هاكل) له ، وهذه الموافقة تعنى الكثير عند العرب ،

وسيجر (عبيدة) أن هذه القافلة تحميه شخصياً ، ولن يهمل

أى مساس بها .

قالت فى حدة :

— لو أن أمير (غرناطة) شعر أن القافلة تمثل خطراً عليه ،

فسياحمها حقاً ، حتى ولو أغضب هذا الأمير (عبيدة)

ابتسم فى صغريه ، وقال :

— من الواضح أنك تجهلين كل شئ ، نقرينا عن العرب

صحيح أن الأمير (عبيدة) يخضع لأمر (غرناطة) ، إلا أن

هذا الأخير لا يستطيع مهاجمة قافلة ، أسع عليها (عيدة)
حباته ، فسيبغ هذا إهانة مباشرة لـ (عيدة) ، وقد يدفعه إلى
ش حرب محلية على أمره ، وفي هذا فائدة لنا
بدا عليها الصيق ، كما لو كانت تسمى أن تمثل حطته ،
لتثبت له أنه ليس أكثر ذكاءً منها ، وقالت لي توتر
— ليس هذا هو الخطر الوحيد .

لاحظت أنه لا يستمع إليها ، وأنه يتطلع في اهتمام إلى حمامة
بيضاء ، تحب صوب برج القصر ، فهتعت به في غضب .
— (فرناندو) .. إنني أتحدث إليك .

التفت إليها ، وعيابه ترقان برقيق خاص ، وقال
— نعم يا عزيزتي (إيرايبلا) . إني أستمع إليك
فالت لي حدة :

— قلت إن هذا ليس الخطر الوحيد ، الذي يواجه سيفك
الذهبي .

قال لي مخبرة أحققتها :
— حقاً ؟

تم ارتشف رشفة من كأسه ، قبل أن يصعب
— وما الأخطار الأخرى ، التي تواجهه ؟
فالت لي عصبية :

— محارلات السطو مثلاً .
رفع حاجبيه ، وهو يقول :
— نعم .. هذا محتمل .

أثلج هذا القول صدرها ، فلقد بدا لها أشبه باعتصاف
فشل ، وهمت بقول شيء ما ، لولا أن ارتفعت دقات على باب
الجناح الملكي ، فأسرع (فرناندو) إلى الباب ، وهو يقول .
— ادخل .

دلف إلى الجناح حدى صغير ، أذى التحية لمملك ، ثم
ناولته الرقعة الخلدية المطوية ، التي أرسلها (هاكل) ، فقصها
(فرناندو) في سرعة ، وهو يشير إلى الحدى بالانصراف ،
وقراها في لهفة ، قبل أن يرفع عيبه إلى (إيرايبلا) ، ويقول
— لقد كتب على حق يا عزيزتي (إيرايبلا)

خفى قلبها ، وهي تسأله :
— ماذا حدث ؟

أجابها في هدوء :

— لقد تعرضت قافلة (هاكل) لحادث سطو
هتعت به :

— وماذا حدث للسيف الذهبي ؟
أجابها مجتماً :

— لقد سرقه اللصوص .

لم تدرك أنتمحر بأكية ، أم نطلق صحكة شامة عالية ، وهي
نقول :

— سرقوه .

بادر ها لي سرعة :

— هكذا يتصورون .

تجملت كل الانفعالات في أعماقها ، وهي تسألني
دهشة :

— ماذا تعني ؟

أحبابها ، وشعاع تحملان ابتسامة ساحرة عريضة

— لقد هاجموا القافية ، وسرقوا الصدوق ، الذي يحوى

السيف الذهبى في تصورهم ، وأتمنى رؤية وجوههم ، عندما
يكشفون أن ما سرقوه مجرد سيف رائف من الفولاذ ، ثم طلاقه
بطلان ذهبى فحسب .

انهارت آمال هربته في أعماقها ، وتمتمت .

— هل كنت تتوقع هذا ؟

فهقه ضاحكاً في ظفر ، وهو يقول :

— بل هو (هاكل) الداهية ، الذى وضع هذا الاحتمال في

الاعتبار ، وابكر فكرة السيف الرائف ، بل وانحبا الماس

للسيف الحقيقى .

تمتمت لي مرارة :

— بآله من داهية !

فهقه (لرباندر) مرة أخرى في ظفر ، وقال

— ما يدهشى أكثر ، هو أن ذلك الثعلب (هاكل) قد

توقع مسبقاً طيعة هؤلاء اللصوص الرائفين ، الذين سيهون

لسرقة السيف الذهبى ، وهذه الرفعة الواردة منه الآن ، تشير

إلى أن توقعاته كانت صحيحة .

سألته في حيرة :

— ومن هؤلاء اللصوص ؟ وما الذى تعنيه بأنهم

زائفون ؟

مال نحوها ، وهو يقول :

— لقد كانوا ثلاثة رجال يا عزيزتى (إيرايبلا) .. أحدهم

أشيب الفودين ، متين البنان ، والثانى ربحى أسود قوى ، أما

الثالث ، فهو شاب صديد ، يرتدى خوذة فضية ، ورداء

أبيض ، وحرملة ويطأ غصراوين ، و

قاطعه هاتمة :

— أقصد أنه ..

قاطعها بدورها ، قائلاً :

— نعم يا عميرني (إيرايلا) إنه خصمنا الخالي ، واس
خصمنا القديم . ذلك انقارص الأيصر ، الذي يستعين به أمير
(غرناطة) ، في كل أعماله السرية .
ورفع كأسه ، وقد برقت عيانه بريق لا مثيل له ،
مستطرذا :

— ومنكون هذه عملته الأخيرة . وهذا وعد ملكي .
وكعادته ، حرع مانبقى من كأسه دفعة واحدة

عقد الأمير (عبيدة) صاحبه في غصب ، وهو بيت من
مجلسه ، هانفا :

— هاجك اللصوص ١٢ ويل هؤلاء الملاحين . كيف
يكرؤون على التصدي لقافة بحميا (عبيدة) ؟
قال (هاكل) ، وكأنه يحاول تهدئة الأمير .

— رويدك يا أمير العرب اللصوص هم اللصوص ، في
كل مكان و زمان ، ولكن ما يدهشى هو كيف علموا بأمرنا ؟
لوح (عبيدة) بذراعه في حق ، وهو يقول

— الجميع كانوا يعلمون بأمر قدومكم ، يا رسول
القشتاليين ، فلقد أعلنت هذا سفي ، وطالبت الجميع بعدم
التعرض لكم ، حتى تصلوا إلى قصرى في أمان .

ابنسم (هاكل) في دهاء ، وهو يقول :
— ليس هذا ما أقصده يا سيدي ومولاي ، وإنما أقصد أن
مولاي الملك (فرناندو) ، كان قد أرسل معا حملا ثمينا ،
لست أدري كيف علم اللصوص به .
سأله (عبيدة) في اهتمام :

— أي حل هذا ؟

حزك (هاكل) أصابعه في الهواء ، وهو يقول
— إنه سيف ذهبي سيف من الذهب الخالص ، يوضع
الماس والرمرد والياقوت والبرجد مقصه إنه نعمة من تحف
الزمان يا أمير الأمراء .

برقت عينا الأمير (عبيدة) في لفة ، وهو يقول في حق
— وهل سرق اللصوص هذا السيف الرائع ؟
قال (هاكل) في غيب :
— لقد تصوروا أنهم قد فعلوا يا مولاي ، ولكنهم سرقوا في
الواقع سيفا زائفا .

— سأله الأمير (عبيدة) في لفة :
— وأين السيف الحقيقي ؟
أراح (هاكل) حرمته الحمراء ، وحذب مقص سيفه ،
وهو يقول :

— ها هو ذا .

انخدب المقبض الخلدى فى يده ، كاشفاً تحتة مقبضاً مرصعاً
بالأحجار الكريمة ، التى تألقت تحت أضواء المشاعل ، قبل أن
يحميها (هاكل) بقبضته ، وهو يخدب السيف الذهبى من
غمده ..

وشهق (عبيدة) فى انهار ، وهو يحدق فى السيف الذهبى
البراق ، ويصده الذى تلمع فوقه عشرات الشموس الصغيرة ،
من انعكاسات مشعل القاعة ، ومذ يده يلتقطه من يد
(هاكل) ، قائلاً :

— يا لها من نعمة نادرة !! .

— تركه (هاكل) يتحسس السيف الذهبى ، ويتطلع إليه
بعض الوقت ، قبل أن يقول :

— إنه مجرد هدية متواضعة ، من مولاي الملك
(فرناندو) ، لسمو الأمير (عبيدة) ، أمير (غرناطة)
المقبل .

رفع (عبيدة) عينه إليه فى حدة . وهو يردد

— أمير (غرناطة) المقبل !!

هتف (هاكل) :

— دلتنا كيد لمن تتصور أبامسهب عرش (غرناطة) .

بعد أن نسجدها ؟

هتف (عبيدة) فى غضب :

— وبجك يا رسول (قشتالة) هل توقع ملكك أن
يرشونى بسيف من الذهب ، لأتخفى عن قومي ، وأسلمكم
(غرناطة) ؟

قال (هاكل) ، دون أن تعارقه ابتسامته

— تسلمنا (غرناطة) ؟ . وهل لحاج إلى من يسلمنا
(غرناطة) أيها الأمير ؟ . إن جيوشنا تحتشد على حدود
مملككم الصغيرة ، وسفتنعم (غرناطة) بين ليلة وأخرى ..
ويبقى أن تعلم أن جيوشكم لن تصمد أمامنا أسبوعاً واحداً .

صاح (عبيدة) فى غضب :

— هل أتيت لتردد هذه السخافات على مسامعى
يا قشتالي ؟

أشار (هاكل) بسبابته ، قائلاً :

— إنها ليست سخافات يا مولاي ، بل حقائق . وأميركم
سيد بى (الآخر) يعلمها جيداً ، فحيثما لم يعد يعتمد على
فرسان قشتالة وحدها ، بل انضم إليها جيش الإنجليز ، وحيوش
(فرنسا) ، وأصبحت قوة قادرة على سحق جيشكم بصرية
واحدة .

شعر (عبيدة) بالتوتر ، وهو يقول :

— أنت تكذب أيها الفشتالي ، فلو أنكم على هذا القدر من
القوة ، لما حاولت إعراني بالانصمام إليكم

هز (هاكل) كفيه ، وقال :

— وهل طلبت منك هذا ؟

قال (عبيدة) في حدة :

— ليس على نحو مباشر ، ولكن هذا السيف

قاطعه (هاكل) :

— لا يامولاي ، لا توحه إلى اتهامنا خارجا كهذا ، نمرود

شكوك بلا دليل

نطلع إليه (عبيدة) لخطات في صمت عاصب ، ثم قال في

صرامة وحرم :

— اسمع يا رسول (فشتالة) لقد محتك وفافستك

حماسي ، ووافقت على استقبالك في قصرى ، لأنى كنت

أنصؤ أنكم ستفاوضون بشأن الصراع الدائر بينا ، ولكنى

لم أنصؤ أبدا أنكم هالرشوى ، حتى أحون موطنى وقومى

حاول (هاكل) أن يتحدث ، قائلا :

— مولاي .. إننا ..

قاطعه (عبيدة) في حدة

— لست مستعدا لمناقشة هذا الأمر الآن إيسى أسمع

عبيكم حمايتى حتى فحر انعد فحسب ، ومع أول شعاع شمس ،

أريد منكم أن تكونوا خارج قصرى ، وإلا فست مسئولاً عما

قد يصيكم بعدها .

واندفع مغادرا المكان كعاصفة ثائرة ، تاركنا حلقه صمنا

مطلقا ، قطعه (فراشسكو) ، الذى لم يمس بست ضمة ، صد

بداية الحديث ، وقال في توتر :

— أبغى هذا أن مهمتنا قد فشلت يا صاحب الصحابة ؟

هز (هاكل) رأسه نفيا ، وقال في غيظ :

— ليس بعد .

ثم أشار بظرف حصى إلى الرعى ، الذى يرفع الأكواب عن

المائدة ، هامسا :

— أخشى أن أعيرك ، أمام هذا الخادم .

هز (فراشسكو) كتفه في لا مبالاة ، وقال

— اطمئن يا صاحب الصحابة إنه نصم أكمم لقد

تأكدت من ذلك بنفسى .

نطلع (هاكل) إلى الخدم في اهتمام ، ثم صرخ فجأة

— انصت أيها العبي .

انصت (فراشسكو) لنصرحة المباشرة ، في حين لم يهتز

رمش واحد في جند الرنحى ، الذى واصل عمله في هدوء ،
وهف (فرانشكو) :

— لماذا فعلت هذا يا صاحب الفخامة ؟

ابتسم (هاكل) ، وهو يقول :

— ليطمئن قلبى لحسب يا قائد العرمان

ثم مال نحوه ، مستطردا :

— والآن استمع لى حيّدا ، لساحرك بما لدى

وقصّ على مسامعه كل شيء

وكالت عطته رهبة ..

ومخيفة .



ثم أشار بطرف حتى إلى الرنحى ، الذى يرفع الأكواب عن المائدة ،
هائما احتش ر هف ، أمام هذا الخدم

على الرغم من ذلك العصب ، الذي بجلافس (فارس) ،
بعد أن خدعه الفشتاليون ، ودفعوه للمخاطرة بحياته ، في سيل
سيف رائف ، إلا أن هذا لم ينع من أن يستغرق في نوم عميق ،
على بعد مائتي متر من أسوار قصر الأمير (عبيدة) ، وهو يعلم
أن حصونه بالداخل ..

هكذا علمه الشيخ ..

أن يصبر حسده وعفوه الراحة المناسبة ، قبل حوص أية
معركة عيفة ، حتى لا تضعف السهر والأرق والتعب من
صماء دمه ، وسرعة استجابته ، وقدرته على القتال وتقدير
الأمر ..

وعندما حصل حسده على قسط كاف من النوم ، فتح عيبه
في بطنه ، وتشاءب في عمق ، وهو يفهم :
— حان دورك يا صديقي (مهاب) .

عهد حاحيه في قلب ، عندما لم يجد (مهاب) على مقربة
منه ، كما كان يسطر ، فهت حالي ، والفت إلى حواده ،
بسأله :

— أين (مهاب) يا (رفيق) ؟

أطلق الجواد صهيلًا حارقًا ، وهو يبرز معرفته في رفق ،
وكأنما فهم مزال صاحبه ، وأعلن جهله بالحواب ، فهبط
(فارس) في حرم ، واستل سيفه ، وهو يدير عيبه في المكان في
توتر ، محاولًا احتراق حجب الظلام بصره ، بحثًا عن مدرّبه
وصديقه ..

كان يخشى أن يكون أحد الفشتاليين قد ظهر
به (مهاب) ، وأخذ على حين غرة ..

ولكن أدبه النفاذ حديثًا هامسًا ، يدور على مقربة منه ..
وبكل الحذر في أعماقه ، اتحد (فارس) على أطراف
أصابعه إلى حيث الصوت ..

ومر في صرح صوت (مهاب) ، وهو يمس لشخص
ما

— حسنا فعلت يا رجل هيا ، عد إلى القصر ، وحاول
أن تجمع المربد ، واستعد لتفيد الحطة

لم يسمع (فارس) جواب ذلك الشخص ، الذي تحدث
إليه (مهاب) ، ولكنه سمع صهيل حواد ، ثم وقع حوافره
تتعد في سرعة ، ورأى (مهاب) يخرج من خلف بعض
الأعصاب المتشابكة ، ويقول متسما في هدوء

— مرحبًا يا (فارس) .. متى استيقظت ؟

سأله (فارس) :

— مع من كنت تتحدث ؟

أجابه (مهاب) في بساطة :

— مع (فهد) .

سأله (فارس) في لحظة :

— وما الذي فعله (فهد) هذه المرة ؟ وما الذي يفعله

في القصر ؟

أجابه (مهاب) ، وهو يتمطق بسيفه ويطلقه

— لقد فعل الكثير كالمعتاد إنه الآن داخل القصر ، في

هيئة خادم من خدم الأمير ، والكل يتصور أنه أبكم أصم .

ابتهم (فارس) ، وهو يقول :

— من المؤكد أنه يحيد هذا الدور تمامًا .

واقفه (مهاب) بإيماءة من رأسه ، وقال

— هذا صحيح ، ولقد جمع من موقعه هذا بعض المعلومات

النايلة الخطورة ، بشأن القشتاليين وسيبهم الذهبي

سأله (فارس) في اهتمام :

— ما الذي جمعه بالضبط ؟

أجاب (مهاب) :

— لقد رعى الأمير (عبيدة) قبول السيف الذهبي ،

وأبلغ القشتاليين أنه يرفع حمايته عنهم ، اعتبارًا من فجر الأحد ،
وطالبهم بمغادرة قصره قبل هذا الموعد ، ولكن من الواضح أن
رسول (فرناندو) هذا داهية حيث ، فلقد أرسل أحد رجاله
إلى الأمير (زياد) ، يطلب حمايته ، ويعلن أنه سيذهب إليه
غدا ، كما أطلق الرجال الثمانية الباقين من أنحاء القصر ، يدرسون
مخارجه ومدخله ، وقائدهم (فرانشيسكو) يرسم خريطة
دقيقة له ، مستفيد هؤلاء الأوغاد حتمًا ، إذا ما هاجموا القصر
يومًا .

ثم (فارس) في ضيق :

— ياله من دهاء !!

أكمل (مهاب) :

— والأغرب أن رسول (فرناندو) يعلم أنك أنت

مائدات خلف المحرم عليهم ، ومحاولة سرقة السيف الذهبي ،

ويبدو أنهم يحسبون حسابك جيدًا .

قال (فارس) في حزم :

— هذا يملؤني فخرًا وذهولًا .

أجابه (مهاب) :

— ومن الضروري أن نصيب إليهما شدة الخدر والخرم ،

فمن المؤكد أن ذلك اليهودي يعد لك فخًا ما .

هز (فارس) كفيه في لا مبالاة ، وقال :

— فليعد ما يحلو له .

عقد (مهاب) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— لا تستهن بخصمك أبدا يا (فارس) .

قال (فارس) في صوت مفعم بالثقة :

— لم أستهن به يا مدزني . ولكني بدأت أفهم شخصيته

وأسلوبه ، وهذا يساعدني على أن أصح حظي الخاصة ،
لهربته .

تطعن إليه (مهاب) في صمت ، قل أن يتسم قاتلا .

— أتعلم يا (فارس) لقد حصلت على أعظم مرجح .

يمكن أن يحصل عليه شاب في مثل عمرك ، فلقد تعلمت على

بدى ، في فن الفروسية والقتال ، وتعلمت الحكمة من الشيخ ،

أحكم حكماء (الأندلس) ، وورثت عن والدك — رحمه

الله — قوة الشكينة ، ورحابة العقل ، وحسن المشأ والمختد ،

و ..

فاطمة (فارس) :

— كفى يا صديقي . لست أهوى سماع المدح

ثم استطرد في سرعة ، وكأنه يتعد عن هذا الأمر

— ولكن أحرني كيف يتصل ذلك اليهودي بالملك ؟

أشار (مهاب) بأصابعه ، قائلا :

— بالحمام الراحل . لقد أحضر معه عددا كبيرا

هز (فارس) رأسه ، متمتعا :

— إذن فهذه هي وسيلة الاتصال .

ثم التفت إلى القصر ، وابتسم مستطردا :

— حسنا . لقد عرفنا كل ما يملكه الخصم

وعاد يدير رأسه إلى (مهاب) مديفا :

— وحانت لحظة القتال .

تسل (فراشيكو) إلى الحجرة ، التي حصصها الأمير

(عيدة) له (هاكل) ، وبأوله رفعة جلدية رفيقة ، وهو

يقول :

— ها هوذا رسم القصر وخصماته .

برقت عينا (هاكل) ، وقال :

— رابع . لقد حقنا هدف . فيما يخص هذا القصر ،

وستقل فخر أعدائنا قصر آخر . فاما ان نصح في استمالة

صاحبه إلى صفوفنا . أو يكسب لخصمنا . ويربح نقطة تفوق

جديدة . على هؤلاء العرب .

ثم أراحه إلى نفس الخمد لراحل ، ولتقصمه واحدة . ربط

الرفعة حول ساقها في عصابة . وحملها إلى النافذة . فأطلقها
قائلًا :

— هيا عودي إلى (قرطبة) ، وافعل أول دلائل هوربا
إلى مولاي الملك .

سأله (فرانثسكو) في اهتمام :

— ألا تتوقع أن يهاجما ذلك الفارس الأبيض مرة أخرى .
وبحاول سرقة السيف الذهبي الحقيقي ؟

ابتسم (هاكل) في دهاء ، وقال :

— بل أنا واثق من أنه سيهاجماها حتمًا ، ولقد أعددت كل
شيء لعمل . فلقد طلبت السيف الذهبي الرائف بطلاء غير
ثابت . حتى يكشف ربه السيف في سرعة ، فيجئ جونه ،
وبصر على استعادة السيف ما . وسبحان لدحول هذا
القصر . وبحاول استعادة السيف الحقيقي ، وهما صرح بأن
العرب قد جددوا وحاربوا ، وأرسلوا من يقاتل في حياتهم ،
وسنبر هذا نائرة الأمير (عبدة) ، فيقاتل ذلك الفارس
الأبيض ويسحبه أو يفقه . وسروح نحن في الخالين

هتف (فرانثسكو) :

— يالك من داهية !

ثم ارتبك مستدركًا :

— عفوا يا صاحب المحامة إنما كنت أعنى
أشار إليه (هاكل) ، قائلًا :

— لا عليك يا قائد الفرسان .

ثم ابتسم مدغمًا :

— إنني بالفعل داهية

وقهقه ضاحكًا في فخر ..

لم يكد القمر بتوسط السماء ، في تلك الليلة ، حتى تعلق
خطاف معدني بحافة سور القصر ، وتدلَّى منه جبل قوى ، انتهى
في قصة (فارس) ، الذي همس له (مهاب)

— البعني يا صديقي .

قال (مهاب) في قلق :

— أشعر أنا بترك خطاف ما ، فالقمر بدر ، والسماء
حالية من السحب والغيوم ، وصوت القمر يهمر كل شيء ، كما
لو كان جسمًا فضية صغيرة .

أحابه (فارس) ، وهو يبدأ في تسلق الجبل

— اطمئن يا صديقي ، فالخزائن يفقدون حذرهم الرائد ،

في مثل هذه الليالي ، لأنهم لا يتصورون أن أحدًا يمكنه المعامرة
بتسلق الأسوار فيها .

قال (مهاب) ، وهو يتبعه :

— وماذا لو أن أحدهم غطى التفكير مثل ؟

ابتسم (فارس) ، وقال :

— فلندع الله ألا يكون بينهم مثل هذا الرجل

وإصلاً تسلفهما في حفة وصمت ، حتى بلغا حافة السور ،

فتطلع (فارس) بمئة وبسرة ، ولمح حارساً يتحرك نحو الرح

الغربي للقصر ، فهمس له (مهاب) :

— انتظري لحظة .

ورثب إلى أعلى السور كمنظ حذر ، ثم تحرك في حفة نحو

الحدى ، الذى واصل سيره في خطوات عسكرية ، حتى بلغ

حائط الرح ، فاستدار ليقطع طريق العودة ، ولكنه فوجئ

بـ (فارس) أمامه ، فهتف :

— من أنت

وقبل أن يتم هافه ، كانت قصة (فارس) قد هوت على

فكه كالصاعقة ، وأسقطته فاقد الوعي ، في نفس اللحظة التى

قصر فيها (مهاب) إلى أعلى السور ، وقال هامساً

— وفقاً بهم يا حقى .. إنهم عرب مثلاً .

غمغم (فارس) :

— كنت مضطراً لهذا .

قيد الحدى في إحكام ، وأرقده إلى حوار حائط الرح .
وهو يقول :

— معدرة يا رجل ! لك لست المقصود بالتأكد

سأله (مهاب) :

— متى نهاجم ؟

أشار (فارس) إلى نافذة حجرة (هاكل) ، وقال

— عندما يطفى سرب الحمام من هذه النافذة

ثم جلس ينتظر ..

ساد الهدوء والصمت حواسل قصر الأمير (عبدة) ، بعد

أن أوى الجميع إلى فراشهم ، والرم الحراس الهدوء ، وتبدل

(فهد) عرثمات القصر في حفة وسرعة ، وهو يتأكد من أن

أحد لا يسمع حتى بلغ حجرة (هاكل) ، فدفع بابها في حذر .

ودلف إليها ، ثم توقف ليطمش إلى أن أحداً لم يشعر بتسلله إليها ،

وألقى بطرقة سريعة على (هاكل) ، الذى عطف في بوه عميق .

ثم اتخذ على أطراف أصابعه إلى قفص الحمام ، وأخرج من حرمه

حجرًا حديداً ، مزق به أربطة القفص ، وأداه من النافذة

المفتوحة ، وترك الحمامات تطلق منه محررود ، ثم عاد

أدراجه ، ليضع القفص في موضعه ..

وفحاة ، هت (هاكل) من فراشه ، هانفا
— من أنت ؟

وقل أن بتحرك (فهد) بحره ، كان اليهودي يهتف
إلى يا رجال .

وفحاة اندفع ثلاثة من الفرسان الفشتالين إلى الحجره ،
من باب حاسي ، وهم يحملون المشاعل ، واستل كل منهم
سيفه ، وهم يحدقون في وجه (فهد) ، قل أن يهتف أحدهم
— إنه أحد اللصوص الثلاثة .

وهنا انقض عليهم (فهد) ..

لم يكن يحمل سيفاً أو مخبأ ، ولكنه هاجمهم بخجره فقط ، في
شجاعة مقطعة الطير ، دون أن يطلق صرخته المعتادة
وبصرته من خجره ، أسقط (فهد) أول الفرسان
الثلاثة ، ولكن الثاني صرعه بسيفه على ذراعه ، فراجع
(فهد) في سرعة ، وشعر بالسيف يصرب جلد ذراعه ،
ويخزفه ، وبالدماغ تسيل على ذراعه ، فانفض على مهاجمه ،
وغرر خجره في صدره ، وشعر بسيف الثالث يصرب خافة
عقه ، وبصيه بحرح سطحي ، سألت منه لدماء في سرعة
واندفع أربعة فرسان آخرون من الحجره الحاسية
وكان على (فهد) أن يواجه هؤلاء الأربعة
ولم يكن هذا ممكناً هذه المرة ..
لم يكن ممكناً أبداً



قد احدى في حكام ورفده إلى حور حائط البرج ، وهو يقول
— معذرة يا رجل .. إنك لست المقصود بالتاكيد ..

٨ - قتال في الحصن ..

أشار (فارس) إلى أرواح الحمام ، التي انطلقت من نافذة
حجرة (هاكل) ، وقال :

— ها هوذا العدو قد فقد أدوات اتصاله .

قال (مهاب) في حماس :

— هل لنقضّ عليه الآن ؟

أجابه (فارس) :

— نعم .. منصطاد رجاله أولاً .

استلّ (مهاب) سيفه ، وهو يقول :

— إياهم نسمون جميعاً في الحجرة المخاورة له ، كما أحرق

(فهد) ، فيما عدا قناديم ، الذي بقي مع أحدهم ، في حجرة

عند طرف الممر نفسه .

قال (فارس) :

— دعنا نهاجم القند أولاً . فهذا يضعف الفريق كله

عادة ، كما يقول الشيخ .

همّ بالتحرك ، ثم توقف فجأة . وقال

— مهلاً هالك شيء ما يحدث . داخل حجرة ذلك

اليهودي .

انعقد حاجبا (مهاب) في شدة ، وهو يهتف .

— يا إلهي ! لقد كشفوا أمر (فهد) ، وهم يقاتلونه

صاح (فارس) في قلق :

— أسرع إذن يا رجل ، فلن نستطيع (فهد) مقاتلة

الجميع في آن واحد .

هتف (مهاب) :

— يا إلهي ! لن يصل في الموعد المناسب أبداً . انظر

رفع (فارس) عينه في سرعة إلى نافذة حجرة (هاكل) ،

واتسعت عيناه في دهشة ، و ..

وعوف ..

هتّ الأمير (عبيدة) من فراشه ، استعانة لبداء حارسه

الخاص ، الذي اقتحم حجرته ، هاتفاً

— مولاي .. مولاي .

وسأله (عبيدة) في توتر :

— ماذا هناك يا رجل ؟

أجابه الحارس في انفعال :

— هناك شيء ما يحدث ، في حاح القتالين يا مولاي

عقد (عيدة) حاجيه في شدة ، وهو يهتف :

— في جناح القشتالين ؟ .. يا إلهي !

أسرع يرتدى ثيابه الملكية بنفسه ، ويتمطق بسيفه ،
والحارس يسأله :

— هل لوقف فرساننا يا مولاي ؟

هز (عيدة) رأسه نفياً ، وقال :

— وبك يا رجل .. إهم سيوفنا ، ونحن لا ندرك ما يحدث

في حمرتهم بعد .. ربما يمارسون بعض الطقوس

أجابه الحارس في تردد :

— أظهم يقاتلون يا مولاي .

تجمد الأمير (عيدة) ، وهو يهتف في دهول

— يقاتلون ؟

ثم اندفع خارج حجرة ، هائلاً :

— فأسرع إذن ، فليست أحت أن يقال إن الأمير

(عيدة) لم ينجح في حماية سيوفه .

والعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

— حتى ولو كانوا من القشتالين .

تراجع (فهد) في حمة ، وهو يصعد صربات سيوف
القشتالين بخمره ، على نحو جعله بالسبة إليهم أشبه بشيطان
محيف مرید ، وإن لم يجمع سيوفهم من أن تبلغ صدره القوي ،
ومسافه ، فتزف منهما الدماء ..

وهتف (هاكل) :

— اقلوه لا تسمحوا له بهربكم مرة أخرى

صاح (أحدهم) ، وهو يدل قصارى جهده عبكاً ، في

محاولة للبل من (فهد) :

— من السهل أن تقول هذا ، فليست لفائن ذلك الشيطان

مثلاً .

لم يكذبتم عبارته ، حتى وثب (فهد) بظهره إلى الخلف ،

ووقف على حافة الباعدة الرفيعة ، فصاح (هاكل) .

— هيا يا رجال انقصوا عليه انقصا رجل واحد

تراجع الجميع بسيوفهم ، ثم انقصوا على (فهد) انقصا

واحدة مشتركة ..

ولكن سيوفهم لم تبلغ (فهد) ..

لعد وثب إلى الخلف ، في نفس اللحظة التي بدأوا فيها

انقضاضهم عليه ..

وهتف (فارس) من موقعه :

— (فهد) .. يا إلهي !

والسعت عبا (مهاب) في دعر ، دون أن يسي بست
دعة ، ولكن (فهد) هبط من ارتفاع طابقين من طوائف القصر
على قدميه ، واشت ركبا في مروية ، ليختص حسده خدمة
السقوط ، ثم انصرف حسده دفعة واحدة ، وانطلق بعدو كحواد
حاج ، على الرغم من حراجه العديدة ، ولم يلبث أن احتسب في
ساحة القصر ، فهتف (فارس) :

— يا إلهي ! ياله من عملاق حقيقى !

غصم (مهاب) في أرتياح :

— هذا لله أنه كذلك .

أوما (فارس) برأسه موافقا ، وقال :

— ولكن ما حدث بغير الكثير من الأمور

سأله (مهاب) :

— أقصد بالنسبة للهجوم ؟

أجابه (فارس) :

— بالطبع ، فلقد كانت حطبا كلها تعتمد على عامل

المفاجأة ، ولكن من الواضح الآن أن الفشتاليين في قمة يقظتهم
واستعدادهم ، ونحفرهم ، ومن الخطأ مقاتلتهم في مثل هذا
الموقف .

سأله (مهاب) :

— متى يهاجمهم إذن ؟

أشار (فارس) إلى نافذة (هاكل) ، وقال :

— قبل شروق الشمس مباشرة .

وعاد بلغت إلى (مهاب) ، مستطرذا في حزم :

— عندما يفقدون حماية الأمير عبيدة ، وهم دون أعداء

مجرد أعداء .

شعر الفشتاليون بالخطر والعبء ، عندما أفلت منهم

(فهد) ، وصاح أحدهم في غضب ، وهو يلوح بيده في

الهواء :

— لقد هرب ذلك الجبان .

أجابه (هاكل) في انفعال :

— لست أظن باستطاعتنا وصف ذلك الليث بالجبان

إننى لم أر في حياتى كلها ، شخصا يعرفه قوة وسالة ، وهو

يواجهكم جميعا بخنجر واحد .

قال فارس ثان في حدة :

— ولكننا هزمناه .

هتف به (هاكل) :

— بعد أن جدل النير مكم أيها الأبطال

قال فارس ثالث في عناد :

— فليكن .. المهم أنا قد هزمتناه .

ارتفع صوت صارم ، عند مدخل الحجرة ، يقول

— من هو هذا الذي هزمتناه أيها الفشتاليون ؟

التفت الفرسان الخمسة و (هاكل) إلى مدخل الحجرة .

حيث يقف الأمير (عبيدة) معقود الحاحين في غضب ، وإلى

حواره حارسه الخاص ، وهتف (هاكل) ، وهو يدفع نحوه

— النجدة يا أمير الأمراء العوث لقد حاولوا قتل

فصرلك ، وتحت لوائك .

سأله (عبيدة) في صرامة :

— من الذين حاولوا قتلك ؟

أحداه وهو يلوح بدراعه في دفع مفعل

— فارس أنص يا مولاي برنداء ، حودة هصية .

وحرملة حصراء ، ومطافا من ال ..

— قاطعه (عبيدة) في دهشة :

— كأي بك يحدث عن سح من اناصى ، لا عن شحص

حتى في حاضرتنا .

هتف (هاكل) :

— أعلم من تقصد يا مولاي الأمير إن هذا الذي هاجمنا

هو ابنه .. لقد عرفته فور رؤيته .

صاح (عبيدة) :

— ابنه ؟! .. أتعنى أن الصغير قد نجح ؟

أجابه (هاكل) :

— نعم يا مولاي . لقد نجح . أبقده الوريث ، وهرب به

إلى (غرناطة) ، مع قائد الفرسان ، و ..

قاطعه (عبيدة) في حدة :

— وكيف علمت هذا يا رسول (فتالة) ؟

توقف (هاكل) ، وهو يقول لي قلني

— ماذا تعنى يا مولاي ؟

قال (عبيدة) في عنف :

— أعنى أنه من المستحيل أن تكون كل هذه المعلومات قد

وردت إلى ذلك بعتة ، مجرد رؤيتك شائنا يرتدى ذلك الرى

الذى تصفه ، بل من المؤكد أنك تحمط كل هذا عن طهر قلب

ازدرد (هاكل) لعابه ، وقال :

— أبدا يا مولاي .. إنها مجرد ..

قاطعه (عبيدة) في صرامة :

— ثم إنه هلك فحرة عحية في روايتك

بدأ الفرسان الخمسة يتبادلون بطرات قلعة حذرة ، في حين
سأل (هاكل) الأمير (عبيدة) في نوتر

— أية فحرة يا مولاي ؟

أشار الأمير إلى النافذة ، قائلاً نفس الصرامة

— شهود العيان يا رسول (قشتالة) .

عقد (هاكل) حاجبه في شدة ، وهو يردد في حذر .

— شهود العيان ؟

أجاب الأمير (عبيدة) في عطف :

— نعم يا مدوب الشر لقد شاهد عدد من رحالي

ما حدث عند نافذك ، وشهدوا جميعهم أنكم تقاتلون

عملاقاً رغباً ، حاصرموه عند النافذة ، فقهر بها ليقدر حياته

بدأ القلق على وجوه الفرسان الخمسة ، ولكن (هاكل)

قال في هدوء :

— لقد كانا رحلين ، ففر أحدهما ، وهو الرعبي ، من

النافذة ، أما الباقى ، فقد فر عن الممر ، وهو الفارس الأبيض ،

الذى وصفته لك يا مولاي .

: صاح (عبيدة) فجأة :

— كاذب .

قشرت قصصات الفرسان الخمسة إلى سيوفهم ، فور سماعهم
الصرخة العاصه ، ولكن (هاكل) أشار إليهم بالنراهم الهدوء ،
وهو يسأل الأمير :

— ماذا تقصد باتهامك هذا يا مولاي ؟

أجابه (عبيدة) في غضب :

— أقصد أنت كاذب حقير يا رسول (قشتالة) ، فقد

أتيت مع حارسى الخاص ، عبر المدخل الوحيد للممر ، الذى

يقود إلى هنا ، ولم يشاهد أحداً فارت من أى لون

وفجأة هتف الحارس الخاص للأمير ، وهو يسأل بيه

— احترس يا مولاي .

التفت الأمير في سرعة ، ورأى (فراشيسكو) والفارس

الأخير ، يقفان على حارسه ، الذى ألجم معهما في ماررة

عيفة ، في حين هتف (هاكل) :

— أوقفوا الأمير .

أسل الفرسان الخمسة سيوفهم بدورهم ، وأحاطوا

بالأمير ، في نفس اللحظة التى عاص فيها سيف (فراشيسكو)

في قلب حارسه الخاص ، فقال الأمير في غضب

— أنتدركون ما تفعلونه أيها القشتاليون ؟

أجابه (هاكل) بابتسامة ساخرة :

— نعم يا أمير العرب .. إننا نحتفلك .

مطاً الأمير شعبه في اردراء واحفار ، وقال

— يا لكم من حوبة أئدال " سيسحقكم رحالي سحقاً

هز (هاكل) رأسه مبناً في سحرية وشماعة ، وهو يقول

— لا يا أمير العرب . لن يجرؤ فارس واحد من فرسانك

على اعتراض ، مادمت أسيراً . إما سفادر معك هذا

القصر ، وسعود بك إلى (قرطبة) ، وهناك سيقرّر ملكنا

العظيم (فرناندو) ما يراه بشأنك .

قال الأمير في غضب :

— أيها الأوغاد .

فهذه (هاكل) ضاحكاً ، وقال :

— بل قل : أيها المنصرون .

وأشار إلى رحاله ، مسطرذا :

— اسعدوا يا رجال سفادر القصر مع الأمير

سأله (فرانثيسكو) في قلق :

— أأنت والفق من أن أحذا مهم لن يهاجنا ؟

أجابته (هاكل) :

— تمام التمة . إسمهم يحترمون أميرهم كثيراً . ولن يجرؤ

أحدهم على إصابتة بسوء .

قال (فرانثيسكو) في تردد :

— أرى أنه من الأفضل أن يستعد لقتال عيب ، بدلاً من

أن ..

صرب (هاكل) حافة سريره بقمصته ، وهو يقول ل

حدة :

— قلت لك لن يهاجنا أحد مهم .

واندفع نحو النافذة ، هاتفا :

— وما هوذا الدليل .

أطل برأسه من النافذة ، وهتف :

— أيها الخراس يا أهل القصر لقد أسرنا أميركم

هت (فارس) من محنة ، هاتفا في دهشة

— أسروا الأمير ؟!

وهت (مهاب) خلفه ، يهتف بدورته :

— يا للأوغاد !

تما في ساحة القصر ، فقد ساد هدوء عجيب . أدهش

(هاكل) نفسه . قبل أن يبرز فرسان القصر من عدة محارج ،

وكل مهم يحمل شعلة مضيئة . وتنطلق في دهشة إلى النافذة .

التي تنطلق منها (هاكل) ، الذي هتف مرة أخرى

— قلت لكم إني أسرت أميركم .

لم يمس أحدهم ست شقة ، في حين قال (مهاب) في
أفعال :

— إنها أول مرة تحدث فيها هذا .

أحابه (فارس) ، وهو يتابع الموقف في اهتمام

— سمعت السبح يقول ذات مرة : اصح كل إحلاصك

للصديق ، ولا تثق أبداً في عدو .

لم يكن لرسالة القصر قد أبدوا أي رد فعل بعد ، حتى أن

(هاكل) حذب الأمير إلى النافذة في عتب ، وهو يقول

— هيا .. تحدث إلى رجالك .

لم يكذب الأمير يبرز في النافذة ، حتى مرت مهمة عاصية بين

فرسانه ، واسلوا سيوفهم في حدة . وهب الأمير

— إني أرفع حمايتي عن القتالين .

فحرب عذبة حماس فرسانه ، فراحوا يذبحون سيوفهم .

ويصفون أصحاب عاصية . فأراح (هاكل) الأمير على

النافذة ، وقال في أفعال غاصب صارم :

— اسمعوا كنكم سليل مريعة سرقة . ودون أدنى

توردد ، لو لم يتم تعذيب أوامرنا بالكامل

مرت نفس المهمة العاصية في حين رجع هو

— سحرج جميعاً من هـ . يكن أسحت وحيادنا .



لم يكذب الأمير يبرز في النافذة ، حتى مرت مهمة عاصية بين فرسانه

وسحمل مما أميركم ، حتى يباع مطقة أمه ، فتركه ويعبر
الحدود إلى (قرطبة) .

ارتفع صوت غاصب من بين الفرسان ، يقول

— وما الذي جعلنا نثق بقولك ؟

أناه جواب (هاكل) صارمًا :

— ألدبك بذهيل آخر ؟

لم يمر أحد الفرسان حوائيًا ، ثم قال أعلاهم رتبة في غيظ

— ومعنى ترحلون ؟

أناه صوت (هاكل) معنًا بالنظر والصر ، وهو يقول

— الآن .

الضمت (فارس) إلى (مهاب) ، وقال :

— إنا لنسمح لهم بالفرور طبعًا ، أليس كذلك ؟

قال (مهاب) في حسم :

— هل تسألني ؟

قال (فارس) :

— ألدبك عطة محدودة ؟

أجابه (مهاب) :

— ليس بعد ، ولكن من المؤكد أنا لن يهاجمهم قبل خروجهم

من هنا ، حتى يشعروا بالأمان ، وهم في طريقهم إلى قرطبة

حبّل إليه أن (فارس) لم يسمعه ، فسأله في حدة

— هل تسمع إليّ ؟

الضمت إليه (فارس) متسمًا ، وهو يقول

— معدرة يا صديقي (مهاب) ، ولكن أظنى قد وحدث

مفتاح الحطة .

سأله في دهشة :

— وما هو ؟

أشار (فارس) إلى نقطة بعيدة ، وقال وهو ينسم

— بل قل : من هو ؟

تطلع (مهاب) إلى حيث يشير (فارس) ، وهلّلت

أساريره ، وهو يقول :

— لقد فهمت .

ووافق في أعماقه على حطة (فارس) .

أطلقت الأميرة (جميلة) . من أعماق صدرها ، نهدة حارة ، وهي تتطلع من نافذة حجرتها إلى القمر ، الذي يتوسط السماء ، كقرص من الفضة للامعة ، تحيط به الحجوم كقطع من الماس ، وشرد بصرها بعيداً الحطات ، حتى أنها انتصت في عف ، عندما شعرت يد توضع على كتفها ، والتفت إلى صاحبة اليد هائلة :

— لقد أفرغني يا (فاطمة) .

انهمت وصفتها في حنان ، وغمغمت :

— عموا يا مولاي لم أكن أعلم أنك شاردة

نهذت (جميلة) مرة أخرى ، وقالت :

— أه لو تعلمين فيه أفكر يا (فاطمة)

قالت (فاطمة) مبسمة :

— إسي أعلم يا مولاي ما الذي يفلقت ، وبؤرق

مصمعتك .

ثم أردفت في أسف :

— ونكسي أحمل ما الذي يؤرق مصمعت مولاي الأمير

انتصت إليها (جميلة) ، وهي تقول في حرع

— أوالدي مصاب بالأرق مثل ؟

أومأت (فاطمة) برأسها إيجاباً ، وقالت

— نعم يا بيتي . إن المشاعل لم تنطفيء في حجرته ، حتى هذه اللحظة .

هتفت (جميلة) :

— يا للمسكين !

هرعت بسرعة إلى حجره والدها ، وهزت (فاطمة) رأسها في حنان ، قائلة :

— بالحنانك يا مولاي !

أما (جميلة) ، فقد بلغت حجره والدها ، وطرفت بانها في رقة ، على الرغم من القلق الذي يملأ نفسها ، وسمعت صوت والدها يقول :

— ادخل يا من تطرق الباب .

دهمت الباب في هدوء ، واسابت إلى المحبرة كسيم معطر ، وشعرها والدها ، فالتفت إليها ، وقال في حزن واضح :

— (جميلة) ما الذي يوقظك حتى هذه اللحظة يا بيتي ؟

استكاثت إلى حوار كعمصور رقيق . وهي تقول

— أتيت لأطرح عليك السؤال نفسه يا أبا
هر الأمير رأسه ، وأطلق نسيئة عميقة . وهو يقول
— مشاكل (الأندلس) لا تنسى يا بيتي
قالت لي حنان :

— ولكك لم تكسر أمامها أبدا يا أبا
قال وهو يداعب شعرها الناعم بأصابعه
— أتعلم ألا أفعل أبدا .
سأله :

— ما الذي يؤرقك الليلة إذن ؟

أجابها ، وهو يشرده بصره بعيدا :

— ربما كانت مشاكل اليوم عديدة يا بيتي ، ولقشتاليون
يمشدون حيشهم على الحدود ، وأمراء (غرناطة) يختلفون ،
و . .

أقلت ففعلوها فجأة ، وهي تسأله :

— لماذا استدعيت الشيخ إذن ؟

لم تكذ تطلق السؤال ، حتى عصت شفيها بدم ، وخاصة
عندما التفت إليها والدها في دهشة . وسأها في حيرة
— وكيف علمت أنني قد فعلت ؟

حفصت عينا أرضا . وانحنى تنمساها . وهي تقول

— لقد رأيت من نافذة غرفتي . يذهب إلى حاج الحكم
أراحها أن اكفى هذا الجواب ، وهو رأسه ، قائلا :
— هذا أحد مشاكل الحكم يا بيتي . فهناك من الأمور
ما يستوجب حقوق إلى ذلك الشيخ ، وإلى تلميذه (فارس)
لم لعب عن عييه احتلاحة حصيا ، ولاتملك الأنهار
اللاهثة ، التي نشت على صدرها ، عندما يطق اسم (فارس) ،
ولكنه تظاهر بأنه لم يفته إلى كل هذا ، وهو يواصل
— وأنا أثق به (فارس) هذا كثيرا في الواقع
كاد يتسم ، عندما غمضت ، وهي تحاول مداراة
وجهها ، الذي تحجب بحمرة الحمل
— لست أذكره .

ولكنه لم يح لي إحصاء ابتسامته ، وهو يقول

— كيف لا تذكره ؟ .. إنه ذلك العارس الوسيم
المفوار ، الذي ألقذك ذات يوم ، من حصن قرطبة .
هبطت مصطمة :

— آه .. لقد تذكرته .

احتلس النظر إليها ، وهو يحاول التطلع عبر النافذة ،
لإحصاء ابتسامته مرة أخرى . قائلا

— من الحيد أنك تذكره يا بيتي الحبيبة ، فهو شاب

رائع ، ويهتمنى إلى واحد من أفرع سلالتنا ، بل إلى أفضل فروع
هذه السلالة ، ومحطوظ هو من يرؤحه ابنته
تهللت أساريرها . وهي تهتف في سعادة

— حقاً ١٩

ثم تصرّح وجهها بحمرة محل شديدة ، وأشاحت بوجهها
هاتمة :

— ولكن مالنا و (فارس) هذا الآن ؟

وراح قلبها يرقص بين صلوعها في شدة ، وعجرت عن
إحدى سعادتها الحمة هذه المرة . فأسرعت نحو باب حجرة
والدها ، متممة :

— فلتعلم بنوم هاني يا أبي .

ترك الأمير لانتسامته العنان ، وهو يتابعها بصره . فأنشأ

— وأنت أيها يا بنتي .

ولكها لم تكذ لعلق الباب خلفها . حتى تسأل شيء من
الحرل إلى ابتسامته ، وهو يتابع في صوت شديد الخفوت

— لقد فهمت يا ابنتي .. لقد فهمت ..

ثم عادت عساه تشردان مع القمر والحوم . مستظراً

— المهم أن يعود سالماً ..

نعم أيها الأمير ..

المهم أن يعود ..

سالماً ..

وقف فرسان الأمير (عبيدة) يعصون شفاهم عبطاً
وبدماً ، عندما استقل (هاكل) وفرسان (فشتالة) حيوفهم .
ووصعوا سيوفهم على رقة الأمير ، وهم يتجهون نحو باب
القصر المفتوح ، وعمعم الأمير في سحط

— هذا أحقر عمل رأيته في حياتي كلها

قال (هاكل) في ضجاعة :

— ولكنه يربح .. ألين كذلك ؟

قال الأمير في غضب :

— لو أسي أعلم هذا ، لما محتكم حمايتي قط

من (هاكل) عنقه بطرف سيمه ، فأنشأ في غلطة

— لم يعد هناك مجال للدم .

أحابه الأمير ، وهم يعبرون بوابة القصر

— هذا يطق عليك أيضاً يا رسول الشر ، فلو أسي يحوت

من أسر كم هذا ، فسيحتز سيمي عنقك حتماً

ابتسم (هاكل) في سخرية ، وقال :

— فليكن الفعل ما يحلو لك يا أيها العربي ، لو يحوت ما

وفي نفس اللحظة كان قائد الفرسان القصر يقول

— هل ستركهم يأخذون أميرنا هكذا أمام أعيننا ؟

أجابته حكيم القصر في مرارة :

— وما الذي يمكننا فعله ؟

هتف قائد الفرسان في حنق :

— كم أتمنى لو أملك تتلابب ذلك القشتالي ، وأمرقه

إرثا .

هز الحكيم رأسه في أسف ، وقال :

— انهم أن يستعد أميرنا حيا ، ولنعمل بعدها ما نخلو

لك .

قال قائد الفرسان :

— فلكم سأسطر حتى يستعدوا قسلا ، ثم أخذ ثلة من

أقوى رجالي ، و ..

قاطعه صوت (هاكل) ، وهو يهتف :

— قبل أن يستعد عن هنا ، أحت أن أحذركم من محاولة

اللقاق بنا ، فلو شعربا بأي نوع من أنواع المطاردة ، فسقتل

أميركم بلا تردد .

عص قائد الفرسان شفتيه ، قائلا في غيظ

ن يا للحقارة !

وهتف (هاكل) برجاله :

— هيا .. إلى (قرطبة) .

انطلقت القافلة تعدو ، وتحتفي وسط الطلام ، فهتف قائد

الفرسان :

* — لم يحدث هذا من قبل قط إنا شاهد هريمتنا بأعيننا ،

دون أن نجرؤ على القتال .

وفجأة ارتفع من خلفه صهيل حواد ، حممه بلغت إلى

مصدره في دهشة ، فرأى رعبا قويا ، عارى الصدر ، يغطي

حواد في لون الليل الهميم ، ويطلق في حرم نحو بوابة القصر ،

لما جعله يهتف به :

— من أنت ؟ .. وإلى أين تذهب ؟

لم يتوقف (هاكل) ليحيب سؤال قائد الفرسان ، وإنما مرق

إلى حواره كليث أسود رهيب ، واحتفي بدوره وسط الطلام ،

لهتف القائد :

— من هذا بالله عليكم ؟

أجابته أحد فرسانه ، وصوته يحمل ربه ارتياح واضحة

— إنه ذلك العملاق ، الذي قاتل القشتاليين في حياهم

هتف القائد :

— وإلى أين يذهب ؟ ألم يسمع تحذير ذلك القشتالي ؟

رَبَّ حَكِيمِ الْمَصْرِ عَلَى كَفِّهِ ، وَقَالَ فِي صَوْتِ حَافَتِ
عَمِيقٍ :

— اطمئن يا ولدي قلبي يحدثني أن ذلك الرمح يحمل
في لونه الداكن قوة الدنيا كلها اطمئن يا ولدي اطمئن
ولكن قائد الفرسان لم يكن يشعر بالاطمئنان على أميره
وسيده ..
لم يكن يشعر بهذا قط ..

هتف (فراشيسكو) ، وهو يعدو نحواده ، على رأس
القافلة ، التي تطلق عائدة إلى (قرطبة)

— ولكن كيف يمكن تقييم عملا يا صاحب المحامة ؟
هل نجحنا أم فشلنا ؟
أجابه (هاكل) :

— من المؤكد أننا لم نخلص الحجاج المشرد
يا (فراشيسكو) ، ولكننا لم نقتل في مهمتنا أيضا
قال (فراشيسكو) :

— هل تعتقد هذا ؟

هتف به (هاكل) :

— بالتأكيد لقد أسرنا واحداً من أكبر أمراء العرب ،

وحصلنا على رسم تخطيطي واضح لقصره ، واحتفظنا في الوقت
ذاته بالسيف الذهبي ألا تعتز هذا بصراً ؟

لم يكن هذا القدر ليقع (فراشيسكو) بتحقيق النصر ،
وعلى الرغم من هذا فقد تم :
— بلى .. إنه يعتبر كذلك .

واصلوا انطلاقهم لخطات في صمت ، ثم هتف أحد
الفرسان فجأة :
— أنصتوا .

توقف الكل على الفور ، وانظروا حتى انتهت حياضهم من
سهيل التوقف التقليدي ، ثم أرمضوا أسماعهم في اهتمام
وانتباه ..

وهنا بدا لهم الصوت واضحاً ..

وقع حوافر جواد يقترب في سرعة ..

وانعقد حاحا (هاكل) في غضب ، وهو يقول

— وبيل هؤلاء العرب ، لو كانوا قد أرسلوا أحدهم
حلماً

قال الأمير في غضب :

— سأشك في عروبتهم ، لو لم يفعلوا .

حدث (هاكل) سيمه ، ووضعه على رقة الأمير ، وهو



اتسم (فراشيسكو) لشكوك (هاكل) ، وبرر من حلف الشجرة ،
ورفع سيمه هاتفا في وجه القادم — من أنت ؟

يقول في حدة :

— فلتدع الله ألا يكون ذلك القادم أحد رجالك ، وإلا
فأقسم أن أفصل رأسك عن عفتك ، فور رؤيتي له .
ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا :
— انخفضوا .

استحمى الجميع خلف الأشجار ، وراحوا يستمعون في انتباه
إلى وقع حوافر الجواد ، الذي يقترب في سرعة ، حتى لاح
القادم على ضوء القمر ، فهتف (فراشيسكو) :
— إنه رميلنا (ماريو) الذي أرسلناه إلى الأمير
(زباد) .. لا ريب أنه قد أدرك ما حدث ، فلتحق بنا إلى هنا
قال (هاكل) في صرامة :
— تأكد أولاً .

اتسم (فراشيسكو) لشكوك (هاكل) ، وبرر من
حلف الشجرة ، ورفع سيمه هاتفا في وجه القادم :
— من أنت ؟

أوقف القادم حواده ، وقال في سرعة :
— أنا (ماريو) أيها القائد .

أعاد (فراشيسكو) سيمه إلى غمده ، وهو يقول
له (هاكل) مبتسمًا :

— ألم أقل لك ؟

ثم هتف بالعارس :

— هيا .. انصم إلى رفاقك .

ورفع (هاكل) سيفه عن رقبة الأمير ، وهو يقول

— هذا أفضل .

وانتفت إلى الأمير ، مستطرذا في سحرية

— لست أحب أن أعود إلى مولاي (فرناندو) . بأمر

عربي من قطعتي

قال الأمير في غضب :

— من السهل أن تقول هذا أيها الحقير ، مادمت قد

حرّدتني من سيفي ، وقبذت معصمي حذب طهرى ، فأنت

أجهن من أن تواجهني كرجل .

أطلق (هاكل) صيحة ساحرة ، وقال :

— لا تحاول أيها العربي أن تنجح هذا في استفرادي ،

ودفعني إلى مقاتلتك سيفاً بسيف .

أناه من خلفه صوت عربي ، يقول :

— هل ينجح هذا إذن ؟

التفت الجميع في دهشة إلى مصدر الصوت ، ورأوا رمايهم

(ماريو) يدفع نحو جواد الأمير ، ويصره بصفحة سيفه .

هاتفا :

— ابتعد أيها الجواد .

سهل جواد الأمير ، وانطلق مبتعداً عن القافلة الصغيرة .

وصاح (هاكل) :

— إنك لست (ماريو)

وهما نزع ذلك القادم الدرع القشائي عن صدره ، فالتفت

حلقه البيضاء تحت ضوء القمر ، وهو يقول

— من دواعي فحري أسي لست كذلك

ثم رفع سيفه ، صالفا :

— إلى القتال .

وارتفع في السهول سوط صلب السيوف



١٠ - فرسان العرب ..

امتدت أصابع (عالا) الرقيقة ، نصىء شجرة كبيرة ، في
حاج الملك (فرنادو) ، ثم التفت إلى الملك ، الذي يتطلع
إليها في شروء ، وانحنت أمامه ، قائلة :

— لماذا أصيب مولاي بالأرق الليلة ؟

مط شفيه في نور محفوظ ، وهو يقول

— كنت أنتظر رسالة عاجلة .

رفعت صاحبها الحميد في دهنه ، وهي تقول

— بعد منتصف الليل ؟

لوح بكفه في حق ، قائلاً :

— الحرب لا تعرف ليلاً أو نهاراً ..

تراجمت منمتمة :

— رسالة حرب هي إذن ؟

هت من فراشه ، وهو يقول في عصبية :

— نعم .. هي كذلك .

وانحى إلى نافذة حاحه ، صنع إلى السماء في توتر ، وكأنه
يستظر شيئاً ما ، فلاد (عالا) بالصمت ، حتى التفت إليها
بعدة ، وقال في حق :

— هل تؤمنين بإغراء المال يا (عالا) ؟

أجابته على الفور :

— بالطبع يا مولاي .

سألها في اهتمام :

— لماذا أجبت بالإيجاب بهذه السرعة ؟

ابتسمت وهي تقول :

— لأن الخواب لا يحتاج إلى تفكير طويل يا مولاي ،

فسمال سحر على كل القلوب والنفوس .

عقد خاجيه ، وهو يقول :

— ليس كلها

قالت في هدوء :

— وهل هناك من يمكنه مقاومة إغراء المال ؟

أوما برأسه إيماناً ، وهو يخط شفيه في حق ، ثم قال .

— نعم . هناك من يمكنهم مقاومة إغراء المال .

وزفر في عصبية ، قبل أن يتابع :

— لقد تصورت في لحظة أن للمال سحرًا لا يمكن

مقاومته ، ولكن الآن ، وبعد تفكير عميق ، على ضوء

القمر ، أرى أنني كنت مخطئاً .

سألته في خفوت :

لماذا يا مولاي ؟

أجابها ، وهو يعود للتطلع إلى السماء :

— لأن المال يمكن الحصول عليه من مصادر شتى ، وبريقه قد يخدع البعض ، أو يبدو كهواء باهت في عيون البعض الآخر .

نعمت في حيرة :

— عفوا يا مولاي .. لست أفهمك البتة .

قال في حق :

— لا داعي لأن تفهمي .

لادت بالصمت ، بعد أن شعرت بتوتره ، في حين تطلع هو

إلى القمر ، وقال في عصبية :

— ما الإعراء الذي يصعب مقاومته ؟ ما هو ؟

صمت لخصب ، وهو يهرك كفيه في توتر ، ثم برقت عيانه

بعنه ، والتفت بخدق في وجه (غالا) القائل لخطبات ،

وهتف :

— بالطبع أنت هو ذلك الإعراء ، الذي تصعب

مقاومته يا عزيزتي (غالا) .

هتفت (غالا) في دهشة :

— أما ؟

أمسك كفيها في حماس ، وهو يقول :

— بالطبع يا (غالا) يا إلهي !! كيف لم أنتبه إلى

ذلك ؟

بدأت تفهم فكرته ، فهتفت :

— مولاي !

سألها بكل حماس :

— أحبريني يا (غالا) أما رلت تسمى الانتقام من

ذلك الفارس الأندلسي ، الذي قتل (رودريك) ؟

اعتقد حاحباها ، ولقد وجهها عذوبته ، وهي تقول في

شراسة :

— إنني لم أتنازل عن هذا أبدا .

فبهقه ضاحكًا ، وهتف :

— رالع يا (غالا) .. رالع .

انتعص (غالا) ، عندما سمعت من خلفها صوت المنيكة

(إيرايبلا) ، وهي تقول في عصب واضح

— ماهو هذا الرالع يا جلالة الملك ؟

ارتحمت (غالا) ، خوفًا من مليكتها ، في حين لم يبد أدنى

اهتمام على وجه (فرناندو) ، وهو يقول :

— إنها فكرة رائعة ، ففرت إلى دهي بغنة

قالت في حدة :

— فكرة تختص بـ (غالا) ؟

لوح بكفه ، قائلًا :

— بالطبع .

ابعد حاحاها في عصب ، وهي تلتفت إلى (غالا) ،

وتفرغ فيها غضبها ، هاتعة :

— ماذا تفعلين هنا ؟

ارتبكت (غالا) ، وهي تقول :

— إسي لقد

قاطعها (فرناندو) في صرامة :

— انا طلبت منها انحصور إلى هنا ، وليس عليها سوى

الطاعة .

تصاعف حق (يرايلا) ، عندما انزع (فرناندو) منها

فرضه النورده على (غالا) ، فتوحت بكفها في عصبية ، قائلًا

— عودي إلى حجرتك يا (غالا) .

أسرعت (غالا) تعاد الحجاج الملكي ، دون أن تستأذن

املت كما يسعى ، واسطرت (يرايلا) حتى سمعها تعلق الباب

خلفها ، ثم قالت في غضب :

— لقد حذرتك أكثر من مرة من محاولتك إغواء وصيفتي

قال في حزم شديد :

— كفى يا (يرايلا) . لست مستعدًا لمناقشة مثل هذه

الأمرور النافهة الآن .

هضت :

— هل تظاهر بالعصية والغضب ، لتفادي ثوري و

قاطعها في حدة :

— لقد فشلت خطة السيف الذهبي .

صدمتها عبارته ، فالتفت عيناها في حدة ، ونسيت أمر

(غالا) ، وهي تهتف :

— فشلت ؟ .. كيف علمت ؟

أجابها في سخط :

— كان المفروض أن تصلني رسالة منذ قليل ، لو أن الأمور

تسير على مايرام ، ولكها لم تصل وهذا يعني أن شيئًا ما قد أفسد

الخطة كلها .

غمغمت في قلق :

— ربما ارتبك الحمام الراحل ، لعدم قدرته على الطيران

ليلا ، أو .

قاطعها :

— هذه الطيور كانت مدربة على الطيران في الضلام الدامس

حاولت أن تجد تبريرًا آخر ، وهي تقول :

— ربما حدث تعديل في الخطة ، أو ..

لم يجهلها هذه المرة أيضًا ، وهو يقاطعها في حزم :

— لقد فشلت الخطة .. خذها من خبير مؤامرات قديم .

ثم التفت إليها ، مستطرذا :

— ولكن لدى خطة أخرى رائعة .

قالت في غضب :

— وهل نحمد هذه الخطة الأخرى على (غالا) ؟

أجابها في برود :

— إنها نحمد عليها تمامًا .

وعاد يتطلع إلى السماء ، مستطرذا

— وعلى ذكائي أيضًا .

وبرقت عيناه في دهاء ..

وهراسة ..

لم يكذب (فارس) يكشف عن شخصيته ، حتى انقضى على

الفرسان السبعة ، وهوى سيفه على سيوفهم في قوة ، مستغلًا

عامل المفاجأة ، فصاح (هاكل) :

— تكاثروا عليه يا رجال .

ولكن سيف (فارس) كان قد حفص عددهم بالفعل إلى ستة ، وما زال يقاتل السيوف الستة في قوة أدهشت الفرسان بالفعل ..

لقد كان صغير السن ، كما يبدو واضحًا ، وعلى الرغم من هذا كانت صرناته قوية عيفة ، تهوى على سيوفهم كالصواعق ، وترفع عنها كالرياح

وحواده أيضًا كان يتحرك في حمة وسرعة ، فيدور من فارس إلى آخر ، كما لو كان قد نما وترعرع في حومة قتال ، يتأزلون فيها ليل نهار ..

وعلى الرغم من هذا ، كان من المستحيل أن ينحو (فارس) من هؤلاء الخصوم الأشداء ، وهو يقاومهم وحده ، ولقد أدرك (فراشيبيكو) هذا ، فصاح بمرسائه — أحيطوا به ، وأعمدوا سيوفكم في حمله رلرل فلوهم صوت صارم ، ينف من حلمهم — محال أيها الأوغاد .

وقبل أن يلتفتوا إلى مصدر الصوت ، كان (مهاب) يقف عليهم كالإعصار ، فيترع سيمه روح أحدهم ، ثم بصرب سيف الثالي ..

وأصبح القتال يدور بين بطليا ، وخمسة من أقوى فرسان (قشتالة) ..

وفي هذه الأثناء ، كان حواد الأمير يطبق على غير هدى ، والأمير يحاول الحفاظ على تواربه فوقه ، وهو مقيد المعصمين



وفحاة بلعه حواد أسود قائم ، وأمتدت يداها قويتان ، فأمسكتا به .
ومعناه من السقوط ، ثم أوقضاه على الأرض في رفق

حلف ظهره ، ويهتف به
— مهلاً أيها الحواد مهلاً — إني مأسقظ من فوقك ،
فيدق عنتي .. مهلاً .

شعر بمعزاه عن الشقاء على من الحواد ، وهو يستثبث
بقدميه لحسب ، ومال حمده ، وأبرلق وهو يهتف
— اللعة !

وفحاة بلعه حواد أسود قائم ، وأمتدت يداها قويتان ، فأمسكتا
به . ومعناه من السقوط ، ثم أوقضاه على الأرض في رفق
والتمت الأمير إلى صاحب الديد القويين في دهشة ،
وبدت له ملامحه فاعمة أكثر مما اعتاد ، على صواء القمر ، فسأله
في حيرة :

— من أنت ؟ — إنك أحد الخدم الجدد في قصرى . أليس
كذلك ؟

لم يجبه (فهد) بحرف واحد ، وإنما رفع سيفه عن نحو حمل
الأمير يهتف :

— ماذا صنعت ؟
ولكن سيف (فهد) هوى على قيد معصمى الأمير
فحسب ، وحرزه بصرة واحدة ماهرة ، فهتف الأمير
— رائع .. كيف فعلتها ؟

ومره أخرى لم يخط بحواب من (فهد) ، الذى انزع من
سرج حواده سيفاً آخر ، باوله إلى الأمير في صمت ، فحذق
الأمير في السيف بلهشة ، وهتف :

— رنّه ! — إنه سيفى كيف حصلت عليه ؟ لقد

تركته لي حترقي ، قل أن أذهب للنساء هؤلاء الـ
متر عمارته ، عندما رأى (فهد) يشير إلى نقطة ما ، فقطب
حينه ، وهو يسأله
— ماذا هناك ؟

لم يكن يحتاج بعدها إلى أن يعرف سمعه ، فقد بداهه وقع حوله الخوادم ،
الذي يقرب في سرعة واضحة ، لما جعله يطمع أن مصدره ، قائلا
— أعدو هو أم صديق ؟

حدث (فهد) عما ن حواءه ، دون أن يسر بسبب شدة ،
وانطلق مسعدا في اتجاه آخر ، فسمع الأمير
— عجيب أمر هذا الرعي ، إنه أنكم أصم كما أذكر
ولكن كيف يظهر هكذا ؟ وكيف

قل أن يتم عمارته ، برر أمامه الخوادم القادم وراكبه
وبرقت عينا الأمير ، وهو يقول
— إذن فهو أنت .

عقد (هاكل) حاجبيه في شدة ، وهو يقول
— ألم تستعد كثيرا ؟ هذا من حسن حظك ، ومن سوء
حظي أيها العربي .

رفع الأمير سمعه في وجه (هاكل) ، وهو يقول في حزم
— أو العكس أيها القشتالي .

استل (هاكل) سمعه في حركة سريعة ، وصاح
— سنرى أيها العربي .. سنرى .

وانقض بسيفه وجواده على الأمير ..
وتفارعت السيوف !

١١ — الذهب ..

على الرغم من التفوق العددي للقشتاليين ، إلا أن سيوفهم
لم تنجح في الوصول إلى (فارس) و (مهاب) أبدا ، فقد كان
بطلانا بصذان هجمات سيوف الفرسان الخمسة في مهارة
ومراعاة ، وإن معهما هذا من توجيه صربانهما بدورهما

وهتف (فرانسكر) في غضب :

— ماذا أصابكم يا فرسان البلاط ؟ اصرخوا بقوة أكثر
وأكثر ..

ولكن فجأة انطلقت صرخة (فهد) ، واندفع الرعي إلى
ساحة القتال ..

وفي لحظة واحدة احترق ميمه صدر أحد الفرسان ،
وتعادت كفة القتال ..

أربعة من القشتاليين ، في مواجعة ثلاثة من أقوى فرسان
العرب ..

وأدرك (فرانسكر) على الفور أن اللمة كلها قد
قتلت ، وأن الفور لم يكون من نصيبه ونصيب رجاله أنه

ولم يصعب قائد الفرسان لقشتالي لحظة واحدة

لقد حدث عما ن حواءه ، وانضى هارنا ، وهو يحمل معه

السيف الذهبي .

وهنف (مهاب) :

— احتسب يا (فارس) إنه يعرف بالسيف الذهبي

كان هذا اصاف كافيًا ، لسترع (فارس) سيفه من حومة القتال ، ويجذب معرفة جواده (رفيق) ، وهو يهتف به

— خلفه يا (رفيق) ..

وانقسم ميدان القتال إلى ثلاثة ساحات

في الساحة الأولى كان (فهد) و (مهاب) يقاتلان آخر ثلاثة من فرسان البلاط الملكي القشتالي

وفي الساحة الثانية يفارح سيما الأمير (عيدة) و

(هاكل) ..

وفي الثالثة بطارد (فارس) (فراشسكو) ، لاستعادة

السيف الذهبي ..

وكل هذا في لحظة واحدة ..

لقد أطاح سيف (فهد) بفارس قشتالي آخر ، وأصبح

القتال يدور بين عربيين وفتاليين ، وهما حاء دور الكفاءة ،

فلقد انصد كل من (فهد) و (مهاب) بحصمه ، وراح

(فهد) يهوى على سيف الفارس القشتالي بصربات عقيمة ،

والفارس يتراجع أمامه في توتر ، ناحيًا عن محال للهروب أو

الفرار ، ثم لاحت له فرصة لطم (فهد) في مقتل ، فاندفع

بسيفه نحو قلب هذا الأخير ، وهو يصرخ

— مت أيها الزنجي .. مت .

ولكن فحاة ارتفع سيف (فهد) نحو صدره ، وشهق

القشتالي ، واحترق السيف صدره بلا تردد

وحطت عبا القشتالي ، ثم هوى عن جواده حلة

هامدة ..

ول حرم ، مسح (فهد) الدماء عن سيفه ، ثم دفعه في

عمده بقوة ، والتفت بتطلع إلى (مهاب) ، الذي لم يكن قد

انتهى من قتاله بعد ..

وكان (مهاب) يقاتل حصمه في قوة مذهشة ، وبحره على

التراجع أمامه في عف ، ولكن الفارس القشتالي استجمع

قواه ، وكرّ على (مهاب) كرة قوية ، كاد بترع بها سيف

(مهاب) ، وعلى الرغم من هذا ، فإن (فهد) لم يتحرك من

مكانه قيد أنملة ..

كان يترك له (مهاب) القتال كله ، دون تدخل .

إنه يعرف (مهاب) ..

ويثق به ..

وكانت ثقته في موضعها ..

لقد تفادى (مهاب) ، أستاذ الفروسية والسلاح ،
 انقصاصه القشتالي ، ثم هوى على سيفه بصربات ملاحقة
 عيفة ، أحرته على التراجع ، ودفع سيفه نحو مقعر سيف
 القشتالي ، ثم أداره حوله في سرعه مركبة ، وانترعه من بد
 القشتالي بحركة مارة قوية ، وأطاح به بعيدا ، فشحب وجه
 الفارس ، وحذق في سيف (مهاب) في رعب ، وهو يتوقع أن
 يخرق صدره ، بين لحظة وأخرى ، ولكن (مهاب) أعاد
 سيفه إلى غمده ، وقال في صرامة :
 — اذهب .

السمت عيا القشتالي في دهشة ، ولم يصدق أنه قد عا ، إلا
 أنه لم يشأ إصاعه الفرصة ، فحذب عنان حواده ، وفر هارنا ،
 لا يلوى على شيء ..

وهو قد تحرك (فهد) نحو (مهاب) ورئت على ظهره في
 حرارة ، فالتفت إليه (مهاب) وهو يلهث ، وقال
 — أشكرك يا صديقي ، ولكسى أظن أن هزيمة ذلك
 القشتالي قد استعرق منى وقتا أطول مما يسمي
 غمهم (فهد) بصوته العميق :
 — كنت رائعا ،
 نهد (مهاب) ، وقال :

— ليس كالأيام الخوالي يا صديقي لا بد أن يعترف مرور
 الزمن ، إنني أتخطى مرحلة الشباب الآن
 وتطلع بصره إلى حيث احتفى (فارس) حلف
 (فرانيسكو) ، وأضاف :
 — ولم أعد مثله .

ثم جذب عنان حواده ، مستطرذا :
 — هيا يا (فهد) .. دعنا نلحق به .
 وفي نفس اللحظة ، كان الأمير (عبدة) يراوغ
 (هاكل) ، ويصد صربات سيفه في براعة ، وهو يخترى على
 قدميه ، أمام جواد هذا الأخير وسيفه ..
 ثم لاحت لحظة ماسية ، انقصر فيها الأمير على (هاكل) ،
 ودفعه من قدمه ، هائبا :

— اهبط من عليائك يا رجل .
 احتل توارن (هاكل) ، وسقط عن حواده ، وارتطم
 ظهره بالأرض في قوة ، وتوقع أن يسعل الأمير سقوطه ،
 فينفض بسيفه على صدره ..
 ولكن الأمير لم يفعل ..
 لقد وقف صامتا ، شامخا غاصا ، ينتظر حتى استعاد
 (هاكل) توارنه ، وهب واقفا على قدميه ، يسأله في دهشة

— لماذا لم تقتلى ، عندما لاحت لك الفرصة ؟

أجابه الأمير ، وهو يرفع سيفه في وجهه

— لقد كنت ساقطاً ، ونحن العرب لانصرب ساقطاً أو

أعزل .

صاقت عبداً (هاكل) ، وتألقتا برقيق ساحر ، وهو

يقول :

— أتم العرب ؟ يا للسحافة ! متدفع ثمن شهامتكم

هذه غالياً أيها الأمير ..

وقفز نحوه صارلحا :

— اسعد للموت .

وهوى سيفه على صدر الأمير ..

كان (فراشسكو) بحث حواده على الانطلاق بأقصى

سرعة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سمع وقع حوافر حواد

(فارس) بفرب منه كثيراً ، فصاح بحواده في حق

— انطلق أيها اللعين .. انطلق .

ولكن حواده كان مهكاً مرهقاً ، وحين كان (رقيق) قريباً

عبداً . لم يلبث أن أصبح بطلق بمحاداة حواد

(فراشسكو) ، الذي أصابه الدعر ، عندما رأى (فارس)

يطلق إلى حواره ، فرفع سيفه ، وحاول أن يصرب به

(فارس) ، وهو يصرخ :

— ابتعد أيها العربي .. ابتعد

ولكن (فارس) انحنى في مروية مدهشة ، متجاوزاً صرية

السيف ، ثم فمر من حواده ، وتعلق بوسط (فراشسكو) ،

ودفعه معه إلى الأرض ، ليرنظما بها في عف ، وهت واقفاً على

قدميه ، وهو يقول في صراجه :

— استسلم أيها القشتالي لقد حشرت المعركة

بهم (فراشسكو) ممكناً بسيفه ، وهو يقول في

عصية :

— لم تخسرنا ثامناً ، كما نظن أيها العربي لقد بقنا رسم

القصر إلى حبشنا ، ولن يكون افتتاحه عسيراً ، عندما نحين

اللحظة المناسبة .

اتسم (فارس) ، وأخرج من حية رقعة مطوية من الحلد

الرقبي ، فرددها أمام (فراشسكو) ، قائلاً

— أتقصد هذه ؟

حذق (فراشسكو) في الرقعة بدهول . وهتف

— كيف حصلت عليها ؟

أجابه (فارس) في بساطة :

— بسهم واحد يا رجل .. ولقد كان طعم الحمامة لهذا ،
عندما طهوناها مع بعض الأرز .

احتقن وجه (فرانشسكو) في غضب ، وصاح :
— أيها العربي الخفي .

وانقض سيفه على (فارس) ، الذي استقبله على صفحة
سيفه ، وهو يقول في صرامة :

— العربي ليس حقيرًا أيها القشتالي .

ثم دفع السيف ، وهوى عليه بضربة عيفة ، مستطرذا :
— فهو لا يخون من استضافه .

وأعقبها بأخرى أكثر عنفًا ، متابعًا :
— ولا يقتل من أولاه ظهره .

صرخ (فرانشيسكو) ، وهو يستعيد مبادرة الهجوم :
— كل هذا لا قيمة له أيها العربي .

ومال جانبًا ، وهو ينقض على قلب (فارس) بسيفه ،
مستطرذا :

— المهم من ينتصر في النهاية .

ولكن (فارس) تفادى سيفه في مهارة مذهلة ، وانحنى في
رشاقة ، وهو يضرب بسيفه في حزم وقوة ..

وشهق القشتالي في ألم ، واصطبغت عيناه بلون الدم ، ثم

انفض ، عندما انتزع (فارس) سيفه من قلبه ، وهوى على
وجهه عند قدمي (فارس) ، الذي قال في هدوء :

— صدقت أيها القشتالي .

ودس سيفه في غمده ، مستطرذا :

— المهم من ينتصر في النهاية .

أنه صوت (مهاب) ، وهو يقول :

— صدقت يا في .

التفت إليه (فارس) في هدوء ، وقال في أسف :

على الباغي تدور الدوائر يا صديقي . إنني أكره القتل
وإراقة الدماء ، ولكن ..

أكمل (مهاب) :

— للضرورة أحكام .

أرمأ (فارس) برأسه موافقًا ، وقال في أسى :

— نعم .. هذا صحيح .

وانحنى يلتقط السيف الذهبي ، ثم اعتدل يسأل

(مهاب) :

— ولكن أين (فهد) ؟

أجابه (مهاب) :

— لقد رحل .

مفتى الديعة
لولو



وشهق القشتالي في ألم، واضطربت عيناه بلون الدم، ثم انفض، عندما انتزع (فارسي) سيفه من قلبه، وهوى على وجهه عند قدمي (فارسي) ..

هتف (فارسي) في دهشة :

— رحل ؟!

أوماً (مهيب) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا (فارسي) .. لقد راقب معي نهاية صراعك مع

ذلك القشتالي ، وراك تتصر عليه ، فأدرك أن مهمته قد

انتهت ، ورحل .

قال (فارسي) في حيق :

— ألا يبقى ليتحدث إلي قليلاً ؟

غمغم (مهيب) :

— إنه لا يميل إلى الحديث .

أتى من خلفهما صوت يقول :

— وهذا أروع ما فيه .

التفت الاثنان إلى الأمير (عيدة) ، الذي يمتطي جواد

(هاكل) ، وذراعه اليسرى ترف من جرح سطحي ، وهتف

(فارسي) :

— مولاي .. أنت بخير ؟

ابتسم الأمير ، وهو يقول :

— نعم يا فتى .. لقد أقسمت أن أقتل ذلك القشتالي

الحقير ، ولقد بررت بقسمي .

ثم أشار إلى السيف الذهبي ، الذي يحمله (فارس) ،
وأضاف :

— وأرى أنك قد حصلت على السيف اللعين كذلك .

أوماً (فارس) برأسه إيجاباً ، فقال الأمير :

— حطمه يا فتى ، ووزع ثمنه على فقراء العرب ، فهذا

الشيء اللعين كاد يفسد قضيتنا كلها .

أجابه (فارس) :

— سأسلمه إلى الأمير (محمد بن الأحمر) .. وليتخذ هو

ما يراه بشأنه .

قال (عبيدة) في ارتياح :

— هذا أفضل قرار بما ولدي ، ولكنني أريدك منك أن تبلغ

الأمير (محمد) رسالة خاصة مني ، عندما تلتقي به .

واهتم مستطرداً :

— أخبره أن أمة العرب بخير ، ولن ينجح أى مخلوق في

تفطيع أواصرها .. قد نخسر (الأندلس) ، ولكننا لن نخسر

قيمنا وعظمتنا أبداً ، حتى ولو واجهنا أقوى سيف في الدنيا ،

وحتى لو كان هذا السيف هو السيف الذهبي نفسه .

وعندما انطلق الثلاثة ، عائدتين إلى قصر الأمير (عبيدة) ،

كانت الشمس ترسل أول عيوطها الذهبية في السماء ..

سواء (الأندلس) .

[تمت بحمد الله]



٦

فارس الأندلس

من البطولات العربية
في أهرج فترة للعرب في أسبانيا

السيف الذهبي

• مع محاولاتهم المستمرة ، لتشتيت صفوف العرب في (الأندلس) ، أرسل ملك القشتاليين مندوتا شيطانيا ، إلى أحد أمراء العرب ، محاولا إغوائه بسيف ذهبي خالص ، وكان على (فارس) تحطيم هذا الإغراء ، قبل أن تشتعل الفتنة ..
فهل ينجح (فارس الأندلس) ؟ أم ينجح ذلك السيف .. (السيف الذهبي) ؟

الفارس الأسود

الرواية القادمة :
المؤلف



د. نيل فاروق

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بدمشق - سورية

التمويل في مصر
ومعايادته بالدولار الأمريكي